روايات مصرية للجيب



زهرتى الجميلة

الجزء الثانى



طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٥٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٥٨٣٢٠٣٦

هذه السلسلة ..

عندما تتحوَل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيلِ إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - دعـوة على الغداء ..

لحق (عـادل) بـ (نجـوى) حيث كـانت واقفـة تترقب حضوره .

ومـا إن رأتــه حتـى تظاهـرت بالاهتمــام برعايـة الزهور التى اهتمت أمها بزراعتها فى المكان ، دون أن تحاول النظر إليه .

اقترب منها (عادل) قائلاً :

- لقد أخبرتنى والدتك أنك هنا .. لماذا تركتنى فجأة هكذا ؟

التفتت إليه قائلة :

- لأنك أيضًا تركتنى فجأة .

قال لها بدهشة :

- أنا ؟

- نعم .. لقد استحوذت (ليلى) على كـل اهتمـامك حتى إنك لم تعد تشعر بوجودى منذ أن رأيتها .

- كيـف تقـولين هـذا ؟ وكيف يمكن لفتـاة مثـلك ألا يشعـر المـرء بوجودهـا ؟ كل ما هنـالك أننى أشعر

ببعض العطف تجاه هذه الفتاة .. خاصة وقد رأيت بنفسى القسوة التى يعاملها بها عمها .

إنها .....

كادت أن تقول له إنها تستحق ذلك .. لكنها تداركت العبارة التى كادت أن تفلت من لسانها قائلة :

ـ هل هذا هو كل ما يعنيك من شأنها حقًا ؟ أعنى هل هو العطف والشفقة فقط ؟ أم أن .....

قاطعها قائلاً :

ـ وهل تظنين أن هناك شيئًا سوى ذلك ؟ بالطبع إن مشاعرى نحوها لا تتعدى مشاعر العطف والشفقة ، سواء بالنسبة لها أو تلك الصغيرة التى تتولى رعايتها .

ابتسمت قائلة :

ـ لقد ظننت للحظة أنك .....

ـ أننى ماذا ؟

هزّت رأسها قائلة :

ـ لا شىء .. دعنا من هذا الأمر الآن .

وأرسلت بصرها إلى الأفق حيث كانت الشمس تميل إلى المغيب قائلة بصوت ينم عن التأثر المصطنع :

ـ ما أروع غروب الشمس هنا !

نظر (عادل) إلى الأفق الممتد قائلاً بدوره وهو يزداد اقترابًا منها :

ـ حقًا إنه لمنظر فاتن .. إن هدوء المكان هنا وهذا المشهد الساحر يحرك المشاعر ويدفع المرء لأن .....

وقبل أن ينتهى من عبارته حضرت (ليلى) حاملة صينية عليها أكواب الشاى .

فابتعد عن (نجوى) بتلقائية وهو يبتسم لها قائلاً :

ـ أهلاً يا (ليلى) .

وتناول منها كوب الشاى قائلاً :

ـ أين كلبك الشقى ؟

ـ لقد حبسته زوجة عمى فى إحدى حجرات المنزل حتى لا يحدث جلبة فى المكان .

قالت (نجوى) وهى تحاول أن تظهر مودتها تجاه الفتاة أمام (عادل) :

ـ لماذا لا تبقين معنا قليلاً ؟

نظرت إليها (ليلى) بطرف عينيها وهى تبدى دهشتها من هذا الاهتمام المصطنع قائلة :

- أشكرك .. ولكن لا أظن أن هناك ما يدعو لبقائى هنا .

قال (عادل) :

- وما الذى يحول دون ذلك ؟

- لا بد أن أطمئن على الصغيرة .

ابتسم (عادل) وهو يقول لها بصوت خافت :

- إن (طارق) أوصانى بأن أحمل لك تحياته .

تهلل وجه الفتاة لدى سماعها ذلك قائلة له :

- حقًا ؟ هل هو بخير ؟

- اطمئنى .. إنه بخير .

قالت له بتلقائية :

- لماذا لم يأت معك ؟

ضحك (عادل) قائلاً :

- لأنه لم يتلق دعوة مثلى .

أطرقت برأسها فى خجل وقد أدركت أنها تسرعت فى التعبير عن اشتياقها لرؤيته :

- آه .. حقًا ! أنا آسفة .

قال (عادل) محاولاً التخفيف من حرجها :

- لا يوجد ما يدعو للأسف .

- أرجو أن تنقل له تحياتى .

- بالطبع سأفعل .

وابتعدت (ليلى) بينما ظلت (نجوى) تتبعها بنظراتها وهى ترشف الشاى قائلة :

- من (طارق) هذا ؟

التفت إليها (عادل) قائلاً :

- إنه ابن خالتى ويدير بعض أعمالى .. فضلاً عن أنه صديق مقرب لى .

- وهل هو على صلة بـ (ليلى) ؟

- لقد التقينا بـ (ليلى) قبل حضورك أنت ووالدتك إلى هنا .. وأعتقد أنها قد أثارت إعجابه .

قالت له بدلال :

- وإعجابك أنت أيضًا .. فلا تحاول أن تقنعنى بأن مشاعرك نحوها لا تتجاوز العطف والشفقة فقط .

ابتسم قائلاً :

- يمكنك أن تقولى إن كلاً منا معجب بها على طريقته .

قالت وهى تضع يدها على كتفه وقد ازدادت دلالاً :

- وهل يمكنك أن تقول لى .. ما هى طريقتك فى الإعجاب بها ؟

- إن هذه الفتاة عاشت ظروفًا قاسية وحياة بائسة إلى حد ما .. لكنها لم تتخلَ عن مسئوليتها تجاه أختها وعمها .. كما أنها تتحلى بصلابة وإرادة قوية مكنتها من التصدَى لكل الظروف التى مرَت بها .

ابتعدت عنه قليلاً وقد ارتسمت ملامح الغيرة على وجهها وهى تقول :

- وهل أصبحت تعرف عنها كل هذا من مجرَد مقابلة واحدة قابلتها لها ؟

كلا بالطبع .. لكن (طارق) حدثنى عنها كثيرًا .. ولكن هل سنظل نتحدث عن (ليلى) طوال الوقت ؟

- قل لنفسك .

- أنت التى سألتنى .

- لم أكن بحاجة لسؤالك .. فمن الواضح أنك شديد الاهتمام بها .

اقترب منها ليضع يده على كتفها بدوره قائلاً :

- هل تحسين بغيرة منها ؟

هزَت كتفيها وهى تحاول التظاهر باللامبالاة قائلة :

- أنا ؟ وما الذى يدعونى للغيرة منها ؟

- لقد سألتنى عن مشاعرى نحوها .. لكنك لم تسألينى عن شعورى نحوك ؟

- هل ستقول لى إنك معجب بى أنا الأخرى ؟

- كلا يا (نجوى) .. أظن أن مشاعرى نحوك تتعدى حدود الإعجاب .. فمنذ أن رأيتك وأنا أشعر بانجذاب شديد نحوك .. وأحس بسعادة غير عادية لوجودى معك .. وهذا شعور لم أحسه تجاه أية فتاة أو امرأة أخرى سواك .

- من الغريب أن هذا هو نفس شعورى نحوك .

قال (عادل) وقد تهلَل وجهه بالفرحة :

- (نجوى) أظن أن لقاءنا لم يأت مصادفة .. وإنما كان ترتيبًا قدريًا .

نظرت إليه (نجوى) وفى عينيها نظرة تساؤل مصطنعة قائلة :

- ماذا تعنى ؟

- (نجوى) .. إننا بحاجة لأن نعرف بعضنا أكثر .. ونلتقى معًا مرات أخرى لكى نزداد تقاربًا ، ولكى يعرف كل منا حقيقة شعوره تجاه الآخر على نحو أكثر دقة .

هزّت كتفيها قائلة :

- لا أظن أننى بحاجة لمعرفة المزيد .. فأنا واثقة من أن مشاعرى نحوك .....

قاطعها قائلاً :

- لا داعى للعجلة .. فلنمنح مشاعرنا المزيد من الوقت .. حتى يكون حكمنا عليها صادقًا وصحيحًا .

قالت (نجوى) وقد ارتسمت ملامح الضيق على وجهها :

- يبدو أنك لست واثقًا من حقيقة مشاعرك .

- إننى واثق من أن مشاعرى نحوك تختلف عن أية مشاعر أخرى عشتها كما أخبرتك .. لكنى أرى أن كلينا بحاجة لمعرفة الآخر معرفة وثيقة .. حتى نرى ما إذا كانت طباعنا وطريقة تفكيرنا متقاربة ، حتى لا يكون حكم كل منا على الآخر عاطفيًا فقط .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- لماذا ؟

- لأن هذا يمكن أن يقودنا إلى اتخاذ خطوة أخرى قد تكون أكثر أهمية فى حياتنا .

أى خطوة ؟

ابتسم (عادل) قائلاً :

- ستعرفين كل شىء فى حينه .

وفى تلك اللحظة اقتربت الأم وزوجها حيث قالت له مرحبة :

- أرجو أن تكون مستمتعًا بوقتك معنا يا (عادل) بك .

- إننى أشكركم جميعًا على كرم الضيافة الذى لقيته هنا .

قالت الأم :

- لا تقل هذا .. إن المنزل منزلك .

- أشكرك يا هانم .

قالت الأم بخبث :

- هذه الحقيقة .. فالمنزل بالفعل ملك لك هو والأرض المقام عليها .. وقد علمت أنك فى سبيلك لاسترداد المكان هنا .

قال لها (عادل) متحرجًا :

- فى الحقيقة .. أنا آسف لأننى .....

قاطعته الأم قائلة :

- لا يوجد ما يدعو للأسف .. فهذا حقك ولا يمكن لأحد أن يلومك .

تدخل (همام) فى الحديث قائلاً :

ـ لكن أظن أنه يمكننا أن نلقى تعويضًا مناسبًا .. على الأقل مقابل هذا المنزل والمزرعة .. فقد أنفقت الكثير من المال من أجل إنشائهما .. وإعداد المكان بهذه الصورة التى رأيتها عليها .. وسوف تكون خسارتى كبيرة بعد أن أضطر للتخلى عن كل هذا .

ـ لقد أردت أن أقول .. لولا أن المشروع السياحى الذى أنوى إقامته هنا سيحتاج إلى أن تكون هذه الأرض على امتدادها خالية من أى منشآت أخرى ، لما اضطررت للمطالبة بإخلاء هذا المكان .

قالت (نجوى) :

ـ فى الحقيقة .. لقد وصلنا منذ فترة قصيرة وبدأنا فى إعداد المكان .. وكنا نظن .....

ـ على أية حال لن تكونوا مضطرين لترك المكان على وجه السرعة .

ـ لكن الإنذارات التى جاءتنا تؤكد ذلك .

ـ يمكننى أن أؤجل الأمر بالنسبة لكم .. فالعمل فى المشروع لن يصل إلى هذا المكان قبل ثمانية أشهر على الأقل .

ثم استطرد قائلاً لـ (همام) :

ـ كما يمكننا أن نتحدّث بشأن التعويض فيما بعد .. وتأكد أننى سأمنحك تعويضًا عادلاً .

ثم أردف قائلاً :

ـ والآن .. لو سمحتم لى .. إننى مضطر للانصراف الآن .

قالت الزوجة محتجة :

ـ ما زال الوقت مبكرًا على الانصراف .

ـ أشكرك يا هانم .. لكن لدى بعض الأعمال التى يتعين على إنجازها .

ـ لا بد أننا سنلتقى مرة أخرى .

قال لها وهو ينظر إلى (نجوى) :

ـ بالطبع .

أومأت الأم إلى ابنتها لكى تصحبه إلى خارج المزرعة .. لكى تتيح لهما المزيد من الوقت للحديث معه قبل أن تودعه .

وأخذت تلوح له وهو ينصرف .. قبل أن تتحول إلى زوجها فى غضب قائلة :

ـ لم يكن هناك داع لأن تحدثه بشأن التعويض بمثل هذه الطريقة الفجة .

قال لها (همام) محتدًا :

ـ أليس هذا هو ما كنا نهدف إليه ؟

ـ نعم .. ولكن كان يتعين عليك أن تختار التوقيت الملائم لعرض الأمر عليه .. ماذا يقول الرجل ؟ إننا دعوناه إلى هنا وحاولنا خطب وده خصيصًا من أجل أن يترك لنا المزرعة أو يدفع لنا تعويضًا عنها ؟

ـ فليقل ما يقول .. إنه حقى .

ـ كلا .. إنه لم يعد حقك .. وأنت تعلم ذلك جيدًا .. إنك تفسد كل الترتيبات التى أعدها بتصرفاتك الحمقاء هذه .

قال لها منفعلاً :

ـ إننى أتصرف على سجيتى .. وليس لى شأن بأساليبكم التى تعلمتنها فى المدينة .

ـ إن أسلوبى هو الذى يمكن أن يعوضك عن خسارتك .. لذا يجب أن تعمل وفقًا له .

صاح (همام) قائلاً :

ـ منذ أن جئت إلى هنا وأنت لا تملين من إصدار التعليمات .. وترتيب الأمور وفقًا لهواك .. حتى كأنك تريدين أن تلغى وجودى هنا تمامًا .

وفى تلك اللحظة جاءت (ليلى) .. حيث أخذت تناديه دون أن يسمعها أو ينتبه لها .. فقد كان مشغولاً عنها بمشاجرته مع زوجته .

لكنها أخذت تلح عليه فى النداء حتى صاح فى وجهها قائلاً :

ـ ماذا تريدين ؟

قالت له وملامح الاضطراب مرتسمة على وجهها :

ـ إن (زاهية) مريضة للغاية !

قال لها منفعلاً :

ـ وماذا تريدين منى أن أفعل ؟

ـ لا بد أن أذهب بها إلى الطبيب .

ـ وأين يمكننا العثور على طبيب الآن ؟

ـ فى المدينة .

ـ وهذا الطبيب ألا يحتاج لنقود ؟ من أين آتى لكما بكل هذه النقود التى تطالبننى بها من آن لآخر ؟

قالت له (ليلى) وقد عاودها تنمرها كلما تعلق الأمر بأختها الصغيرة :

- إن ابنتك مريضة.. ومن حقها عليك أن تعالجها.

- إن هـذه الطفلة مريضـة منـذ ولادتهـا .. وقد حملتنى فوق طاقتى .

- إذن .. هل تقترح أن نلقى بها فى الصحراء حتى تستريح من نفقات علاجها ؟

تحولت إليها زوجته قائلة بغضب :

- كيف تجسرين على الحديث إلى عمك هكذا ؟

- لقد اشتد المرض على الطفلة ولا بد من الإسراع بعلاجها .

- إنك تبـالغين فى تصويرك للأمر .. ولا أظن أن الطفلة مريضة على النحو الذى يستدعى إحداث كل هذه الضجة .

- إذن تعالى لترى بنفسك سخونة جسدها والدرجة التى ارتفعت إليها حرارتها .

- نعم .. سآتى .. وسـوف ترين بنفسك أن الأمر لا يحتاج إلى أكثر من كوب عصير ليمون دافئ لتذهب حرارتها .

صاحت (ليلى) قائلة :

- كوب عصير ليمون ! وهل كنت تكتفين بذلك عندما كانت ابنتك تمرض وهى صغيرة ؟

واستدارت مبتعدة عنهما .. فى حين أخذت المرأة تناديها قائلة :

- إلى أين أنت ذاهبة ؟

قالت (ليلى) دون أن تستدير وتنظر إليها :

- سأذهب لأحمل معى أختى إلى الطبيب .

صاحت المرأة قائلة :

- ومن أين لك بالنقود التى ستدفعينها للطبيب ؟

صاحت (ليلى) بدورها وهى مستمرة فى سيرها فى اتجاه المنزل :

- سأحصل عليها بأية وسيلة .. حتى لو اضطررت إلى التسول .

التفتت الزوجة إلى زوجها وقد بدا عليها الغيظ قائلة :

- إن هذه الفتاة عنيدة بطريقة لا تحتمل .

لكن (همام) بدا مشغولاً عنها بالتفكير فى ابنته المريضة .. وقد تحركت لديه مشاعر الأبوة قليلاً .

ثم ما لبث أن تركها ولحق بـ (ليلى) وهى تستعد

لركوب السيارة بعد أن اصطحبت أختها الصغيرة معها .

ووضع يده فى جيبه ليخرج مبلغًا من النقود قدمه لها قائلاً :

- إذهبى بها للطبيب .. واشترى لها ما تحتاج إليه من علاج .

ووضع يده على جبهة الطفلة التى كانت تبكى بحرارة .. فوجد أن حرارتها قد ارتفعت بأكثر مما كانت عليه من قبل .. مما أثار قلقه .

سألته (ليلى) قائلة :

- ألا تحب أن تأتى معى لتطمئن عليها بنفسك ؟

- هه ؟

كاد أن يستجيب لعاطفة الأبوة استجابة كاملة ، ويصحبها إلى الطبيب .. لكنه تذكَّر أنه على موعد مع أحد التجار ، الذى سيأتى لشراء إنتاجه من الدواجن التى يربيها فى المزرعة .. فقال لها :

- طمئنينى عليها بعد عودتك .

قادت (ليلى) السيارة مبتعدة عن المزرعة ، فى حين أسرعت الزوجة لتلحق بزوجها قائلة فى غضب :

- هل رضخت لإرادة الفتاة فى النهاية وأعطيتها النقود ؟

قال لها (همام) وملامح القلق ما زالت مرتسمة على وجهه :

- إن المرض قد اشتد بالطفلة بالفعل .

- وما أدراك بذلك ؟ إنه مجرَد ارتفاع فى درجة الحراة .

- وهل كنت تريدين أن أنتظر حتى تذهب لتتسول ثمن تذكرة الطبيب كما تقول وتسىء إلى سمعتى ؟

قالت له زوجته متهكمة :

- وهل صدقت أنها تفعل ذلك حقًا ؟ لقد أرادت أن تؤثر عليك .

- إن هذه الفتاة من الممكن أن تفعل أى شىء .. خاصة إذا تعلق الأمر بأختها .

قالها وشرد بعينيه إلى الأفق .....

* * *

٢ - الهدف المنشود ..

اصطحبت الأم ابنتها إلى حجرتها قائلة باهتمام :

- هيا .. أخبرينى عما حدث !

قالت (نجوى) فى براءة :

- أخبرك عن ماذا ؟

نظرت الأم إلى ابنتها بعتاب قائلة :

- هل تريدين أن تلفى وتدورى على أمك ؟ دعك من هذا الخبث وأخبرينى بكل ما دار بينك وبين (عادل) من حديث .

- هزَت (نجوى) كتفيها قائلة :

- لقد كان حديثًا عاديًا.. وتحدثنا فى أشياء كثيرة .

أمسكت الأم بكتفى ابنتها قائلة :

- أشياء مثل ماذا ؟

- أشياء عامة .

قالت لها الأم فى غضب :

- قلت لك لا تتخابثى على أمك .. ودعك من هذا اللف والدوران .

أطرقت (نجوى) برأسها إلى الأرض وهى تتظاهر بالخجل قائلة :

- لقد لمح لى .....

قالت الأم بلهفة :

- لمح لك بماذا ؟

قالت الابنة وقد أعجبها أنها استطاعت أن تثير اهتمام وفضول أمها على هذا النحو :

- لقد أخبرنى أنه شديد الإعجاب بى .. وأنه يحس بمشاعر لم يحسها تجاه أية فتاة أخرى .. وأنه منذ أن رآنى أصبح شديد التعلق بى .

قالت الأم فى سعادة :

- كنت واثقة أنك ستسلبينه عقله .

لكنى أخشى أن يكون ما قاله على سبيل المجاملة.. أو الخداع .

قالت الأم باستنكار :

- ما هذا الذى تقولينه ؟ إن كلمات كهذه لا تقال على سبيل المجاملة .. خاصة إذا صدرت من رجل متزن وعملى مثل (عادل) .. كما أن شخصيته لا تنم عن أنه من ذلك النوع المخادع .

لماذا تقللين من قدر نفسك ؟ ألا ترين كم أنت جميلة ؟ إن جمالك الساحر كفيل بإدارة عقول عشرات الرجال من أمثال (عادل) .

نظرت (نجوى) إلى نفسها فى المرآة قائلة لأمها بدلال :

ـ أتظنين أننى جميلة إلى هذا الحد حقًا يا أمى ؟

نظرت الأم إلى ابنتها بطرف عينيها .. قائلة :

ـ لست بحاجة لمن يؤكد لك ذلك .

ثم استطردت قائلة :

ـ والآن .. أخبرينى .. ماذا قال لك غير ذلك ؟

لقد سألنى عن مشاعره نحوى .

ـ وماذا قلت له ؟

ـ أخبرته أننى أحمل له نفس القدر من المشاعر .

فكرت الأم برهة .. قبل أن تقول :

ـ كان يتعين عليك ألا تتسرعى فى التعبير له عن مشاعرك على هذا النحو ، حتى لا يظن أنك متلهفة على التقرب إليه .. وإنما كان يتعين عليك أن تقتعيه بذلك تدريجيًا .

هزت (نجوى) كتفيها قائلة :

ـ لقد ظننت أن ذلك من الممكن أن يختصر الكثير من الوقت .. خاصة وأنا أعرف أنك مهتمة بمسألة بيع المزرعة هذه ، وأن الوقت ليس فى صالحنا .. لكنى بالطبع لا أحمل نحوه شيئًا من هذه المشاعر الرومانسية .

ـ لماذا ؟ إنه شاب وسيم وثرى ورجل أعمال ناجح من الطراز الأول .. وأية فتاة أخرى تتمنى أن ترتبط به .

ـ ربما .. لكننى لا أشعر بانجذاب شديد نحوه .. وأظن أن شخصيته لا تتلاءم معى .

ـ ليس هذا مهمًا .. افعلى مثل أمك وألقى بالعواطف وراء ظهرك .. إن ثراءه ومركزه الاجتماعى يغنيان عن أية مشاعر أخرى .

ـ على أية حال .. أظن أننى نجحت فى دفعه للموافقة على تقديم تعويض عادل ومناسب .. مقابل استرداده للأرض والمزرعة .

ـ ليس هذا هو المهم .. المهم هل عبر عن رغبته فى الارتباط بك .. أو لمح بشىء من ذلك ؟

- ليس بطريقة مباشرة .. لكنه أخبرنى بأنه يمكن أن يكون إعجاب كل منا تجاه الآخر ؛ بداية لاتخاذ خطوة أكثر جدية بشأننا .

انفرجت أسارير الأم وهى تقول :

- حسن .. لقد كان رأيى فيه صحيحًا .. إنه رجل جاد .. وقد أحسست منذ أن رأيت تلك النظرة فى عينيه حينما رآك .. أنه سيكون من نصيبك .

ابتسمت الابنة قائلة :

- لا تتسرعى فى حكمك هكذا .. فربما كان شخصًا جادًا وعديم الخبرة .. لكنه بالتأكيد ليس بالشخص الهوائى أو المتسرع .. فقد طلب أن يزداد كل منا تعرفًا على الآخر .. وأن يكون بيننا عدة لقاءات حتى نزداد تقاربًا .. قبل أن نخطو هذه الخطوة المهمة كما يصفها .

- ولم لا ؟ إن هذا يدل على رجاحة عقله .. وعلى أنه بالفعل ليس رجلاً هوائيًا سريع الانقياد لمشاعره .

- هذا يعنى أنه سيتعين على أن ألتقى به عددًا من المرات .. وأن تكون بيننا مواعيد غرامية كما يأمل .

- وما المانع ؟ طالما أن هذا سيحقق الهدف المنشود فى النهاية .

- وما أدراك أن الأمر سينتهى على النحو الذى تأملينه ؟

- هذا يتوقف على مهارتك .

قالت (نجوى) بامتعاض :

- هذا يعنى أنه سيتعين على أن أبدو أمامه فى كل مرة نلتقى فيها على تلك الصورة المثالية التى يرغبها ، حتى أنجح فى إقناعه بالزواج بى .

ابتسمت الأم فى خبث قائلة :

- لا أظن أن هذا الأمر يصعب عليك .

- أما أنا .. فلا أظن أن الأمر يستحق كل ذلك .

- لو كان هذا صحيحًا فإن أملى يكون قد خاب فيك .. لكنى واثقة من أنك تعرفين جيدًا أن الأمر يستحق ذلك وأكثر .. فالزواج من مليونير ورجل أعمال كبير مثل (عادل) حلم تأمل الكثير من الفتيات تحقيقه .

- لكننى لا أحبه .

- لكنك بالتأكيد تحبين ثراءه .. وأنا أعرف أنك طالما حلمت بشخص يحقق لك حياة رغدة ناعمة تناسب فتاة مثلك .. كما أعرف أنك لست عاطفية بالقدر الذى يجعلك تهتمين بمسألة الحب هذه .

قالت الابنة وهى تتظاهر بالاحتجاج :

- ماذا تقصدين بذلك ؟ هل تظنين أننى فتاة متبلدة الإحساس ؟

ضحكت الأم قائلة :

- كلا .. لكنك فتاة عملية وذكية مثل أمك .. وتعرفين كيف تحققين ما فيه مصلحتك .

اسمعى نصيحتى .. لا تدعى هذا الرجل يفلت من بين أصابعك .. فهو فرصة لا تعوض .

إنه الوحيد الذى يمكنه أن ينتشلنا من هذا المكان البائس .. وتتحقق معه كل أحلامنا .. على النحو الذى يجعلنا نستغنى عن حاجتنا للشيخ (همام) الذى ما كان لى أن أتورط فى الزواج منه مطلقًا .

تنهدت (نجوى) قائلة :

- نعم .. إن كل شىء يهون فى سبيل التخلص من وجودنا فى هذا المكان .. وتلك الحياة المزرية التى فرضت علينا هنا .. واضطرارى لصحبة فتاة بدوية حمقاء مثل (ليلى) .

ربتت الأم على ظهر ابنتها قائلة :

- إذن .. ابذلى جهدك للتخلص من كل هذا .

وانصرفت الأم فى حين أغلقت (نجوى) الباب خلفها ثم تمددت على الفراش ، وهى تفكر فى تلك الحياة الناعمة المرفهة التى يمكن أن تنالها بالزواج من (عادل) .

نعم .. إن شخصًا مثله .. يمكن أن تتحقق معه كل أحلامها .

وهناك شىء آخر .. لم تخبر أمها به ..

إن مشاعرها نحوه ليست متبلدة تمامًا على النحو الذى حاولت التظاهر به .

فربما أن مشاعرها نحوه ليست قوية بالدرجة التى يمكن أن تنم عن حب .. لكن هذا لا يمنع أنها تشعر ببعض الميل نحوه .

وهذا بالإضافة لثرائه ومركزه الاجتماعى يعد كافيًا تمامًا بالنسبة لها .. لكى تسعى وراء الاقتران به .. وعليها أن تعمل كما قالت أمها على تحقيق ذلك .

* * *

٣ - جميلة دائمًا ..

قال لها وفى عينيه نظرة لوم :

- لم حرمتنى من لقائك خلال الأيام الماضية .

نظرت (ليلى) إلى (طارق) قائلة :

- لقد اشتد المرض على أختى خلال الأيام الماضية ، واستدعى الأمر أن أكون إلى جوارها .

- أرجو أن تكون حالتها قد تحسنت الآن .

- الحمد لله .. لقد تجاوزت الأزمة .

- لقد لاحظت أن أختك تتعرض لنوبات مرضية كثيرة .

- هذا لأنها لم تلق رعاية صحية مناسبة بعد ولادتها .. فقد توفيت أمى قبل أن تقدم لها الرعاية الكافية التى تستحقها طفلة مثلها .

- لكننى أرى أنك تقومين بدور الأم بالنسبة لها على النحو الأمثل .

تنهدت (ليلى) قائلة وقد بدا عليها التأثر .

- لا يمكن لأحد أن يقوم بدور الأم مهما كان .

- أرجو لها أن تشفى تمامًا .. لأجلها .. ولأجلك .. لأننى أعرف مدى حبك وتعلقك الشديد بها .

حدقت (ليلى) فى الزورق البخارى الذى كان راسيًا بجوار الشاطئ .. وقد عاودها ذلك الفضول الطفولى قائلة :

- هل جئت إلى هنا بهذا الزورق ؟

- بل (عادل) هو الذى قاده إلى هنا .. أما أنا فقد جئت بالسيارة .

- حقًا .. وأين هو ؟

- إنه فى مكان قريب هنا يعاين إحدى المناطق التى سيقيم عليها مشروعه بصحبة المهندس الاستشارى .. وقد طلب منى أن ألحق به .

- إذن فيم انتظارك .. هيا لتلحق به كما طلب منك .. فربما كان بحاجة إليك .

- لكننى لا أريد أن أتركك .. فقد أوحشتنى كثيرًا .

- وأنا لا أريد أن أعطلك .

- إذن .. هل تعديننى بانتظارى هنا ريثما أعود ؟

لكنى .. لا أريد أن أتأخر عن العودة إلى المنزل .

- لن أتسبب فى تأخيرك .. إن المكان قريب من هنا كما قلت لك .. وأنا لن أغيب عنك أكثر من نصف ساعة .

- لكن ربما كان ابن خالتك بحاجة إليك .

- أيًا كان الأمر سأحرص على العوده إليك سريعًا .. هل اتفقنا ؟

هزت رأسها قائلة :

- حسن .. اتفقنا .

انتظرت (ليلى) حتى انصرف .. ثم أسرعت إلى القارب البخارى لتفحصه .

وقفزت إلى داخله وقد أخذت تراجع معلوماتها بشأن معداته وآلاته المختلفة وهى تخاطب نفسها قائلة :

- هذا هو مفتاح البنزين .. وهذا مفتاح الزيت .. وهذا هو الذراع الذى يسير الدفة .. فإذا جلست هنا وحركت هذه اليد هكذا ..

وبينما هى مستغرقة فى فحص آلات الزورق البخارى .. سمعت صوتًا يأتى من خلفها قائلاً :

- هل أنت معجبة بالزورق إلى هذا الحد ؟

التفتت (ليلى) سريعًا .. فإذا بـ (عادل) أمامها وبصحبته كلبها (عنتر) .

لم تخجل (ليلى) من المفاجأة .. بل قالت له وهى تنظر إلىالكلب الذى اندفع نحوها :

- هل تحاول أن تسرق كلبى مرة أخرى ؟

نظر إليها بدهشة وقد استطاع بشىء من الجهد أن يكتم الضحك الذى كاد أن يغالبه وقال :

- أسرقه ؟ لقد جاء معى برغم ممانعتى عندما كنت فى زيارة قصيرة لمزرعة عمك .. وأظن أنه قد صار يألفنى .

قالت له (ليلى) بخجل وقد أحست أنها تسرعت فى انفلات لسانها :

- أنا آسفة .. لقد ظننت .....

وضع يده على حافة الزورق قائلاً :

- والآن جاء دورى لأسألك .. ماذا تفعلين هنا فى زورقى ؟

قالت له بارتباك وهى متلعثمة :

- أنا .. لقد كنت .. إننى ..

ابتسم قائلاً :

- أظن أن من حقى أنا الآخر أن أتهمك بالسرقة .. ما دمت قد وجدتك جالسة داخل زورقى .. وأنت تستعدين لإدارة محركه .

قالت له سريعًا وكأنها تسعى لدفع اتهام عنها :

- كلا .. أقسم لك إن هذا غير صحيح .. لقد التقيت بـ (طارق) .. وقد أخبرنى .....

- أخبرك أن تنتظريه هنا حتى يعود .. فقد التقيت به فى الطريق وقال لى ذلك .. لكنه لم يطلب منك أن تنتظريه داخل الزورق بالطبع .

غادرت الزورق وقد خفضت بصرها قائلة :

- أنا آسفة !

ابتسم وهو يرقبها قائلاً :

- هذه هى المرة الثانية التى تعتذرين فيها لى .. مع أنى لا أظن أن هذا من طباعك .

- لماذا ؟ إننى لا أتعالى على الاعتذار ما دمت مخطئة .. ولكن أين (طارق) ؟ لقد أخبرنى أنه ذاهب لمقابلتك .

- نعم .. لقد كلفته أداء عمل بسيط .. وسوف يعود بعد قليل .

لكن ألا ترين أنك ترفعين الكلفة مع (طارق) ؟ فأنت تدعينه (طارق) هكذا بلا ألقاب .

- إننى لا أجيد التعامل بالألقاب .. ثم إننى و (طارق) صديقان .

حدجها بنظرة فاحصة قائلاً :

- فقط ؟

نظرت إليه بغضب قائلة :

- ماذا تعنى ؟

- لا شىء .. ولكنى كنت أريد أن أعرف إذا كان من الممكن أن نكون نحن أيضًا صديقين .. أقصد أنا وأنت .

قالت له سريعًا :

- لا أظن أننا يمكن أن نكون صديقين .

- لماذا ؟

- لأنك غنى .. والأغنياء من أمثالك لا يصادقون الفقراء من أمثالنا .

ابتسم (عادل) قائلاً :

- لا أظن أن هناك ما يمنع ذلك .

- الصداقة يجب أن تكون بين شخصين متكافئين .

- إنك تقيمين الصداقة بمعيار مادى .. لكن الماديات ليست هى المعيار الوحيد للعلاقات بين الناس .. فهناك معايير أخرى يمكن أن تحكم صلات الأشخاص .

- لا تنس أننا نعيش فى عصر مادى .. ومن الواضح أن كل العلاقات أصبحت تخضع فيه للمعيار المادى وحده .. وإلا قل لى .. لماذا تزوج عمى من أمى بعد وفاة أبى .. واستغلها هذا الاستغلال البشع .. ثم تركها لتموت فقيرة معدمة بعد أن استولى على كل ما لديها ؟

وكيف رضى لنفسه ولضميره أن يجعل من ابنة أخيه خادمة له فى منزله بعد أن حرمها من ميراث أمها ؟

بل أكثر من ذلك .. كيف هان عليه أن يقتر على هذا النحو فى دفع مصاريف العلاج والدواء اللازمة لابنته المريضة ؟

- لا تتخذى من عمك مقياسًا .

- وتلك المرأة التى تزوجته .. هل يمكن أن تقول لى لماذا وافقت على الاقتران به ؟

- هناك أسباب كثيرة تدعو لاقتران الرجل بالمرأة .. والمرأة بالرجل .. فربما كانا متحابين .

- كلا .. إن كليهما لا يعرف شيئًا عن الحب .. لقد كان كل منهما يظن أنه سيحقق مصلحة مادية من وراء زواجه بالآخر .

فعمى كان يظن أنها قد حصلت على ميراث كبير بعد وفاة زوجها الأول ، وأنه يستطيع أن يضم ما آل إليها من إرث إلى ما استولى عليه من أمى .

وهى كانت تعتقد أنه يمتلك مزرعة كبيرة وعلى مستوى راق فى هذه المنطقة .. وأنها تستطيع التأثير عليه لتظفر بهذه المزرعة منه ، وتعوض خسارتها من زيجتها الأولى .

لكن سرعان ما تبين لها أن عمى لا يمتلك هذه المزرعة ملكية حقيقية ، وأن هذه المزرعة ستئول إليك .

كما تبين له أن إرثها الذى كان يطمع فى الاستيلاء عليه كان إرثًا وهميًا ، وهكذا خاب ظن كل منهما فى الآخر .

وها هما الآن يسعيان وراء الحصول على صداقتك ، وكسب ودك من أجل تحقيق منفعة مادية يحقق كلاهما من ورائها بعض التعويض عن خسارتهما .

وهكذا ترى أن الأمور والعلاقات كلها قائمة على المنفعة المادية .. وأن المال يلعب دورًا مهمًا فى تلك العلاقات .

نظر إليها وفى عينيه نظرة إعجاب قائلاً :

- هل تعرفين؟ كلما التقيت بك كلما أثرت دهشتى.. فما تقولينه يتجاوز بكثير ثقافتك وسنك .

تنهدت (ليلى) قائلة :

- هناك أشياء كثيرة يمكنك أن تتعلمها دون حاجة لثقافة ، أو سنوات عديدة من العمر .

- وهل تظنين أن (نجوى) كذلك أيضًا ؟

- لا أظن أنها تختلف كثيرًا عن أمها .

- أما أنا فأظن أنها تختلف كثيرًا عنها .

- على أية حال .. هذا رأيك .

- أعتقد أن متأثرة بالظروف التى عشتها ومررت بها فى حياتك ..لكن .. لا يمكن للمادة أن تؤثر على جميع

العلاقات والمشاعر الإنسانية إلى هذا الحد .. والدليل على ذلك .. علاقتك بـ (طارق) .

نظرت إليه بارتباك قائلة :

- (طارق) .

- نعم .. فلا أظن أن صداقتكما تخضع لمعيار المصلحة المادية أو النفعية .. أم أنا مخطئ ؟

هزت كتفيها قائلة :

- كلا .. إن معرفتى بـ (طارق) .....

قاطعها قائلاً :

- بل أنا مخطئ حتمًا .. فقد استغللت صداقته لتبيحى لنفسك ركوب زورقى ، واصطحابه لك فى نزهة بحرية على حسابى .

قالت وقد ازدادت ارتباكًا :

- لقد اعتذرت لك .

عاد ليبتسم قائلاً :

- لا حاجة بك للاعتذار .. لقد أردت أن أمزح معك .. كيف حال أختك الآن ؟

- إنها بخير .

نظر إليها لبرهة قائلاً :

ـ إنك تبدين جميلة فى هذا الثوب .

حاولت أن تخفى اضطرابها قائلة :

ـ حقًا ؟

ـ هذا ما يبدو لى .. ألم يلحظ (طارق) ذلك ؟

وفى هذه اللحظة ظهر (طارق) من خلفهما قائلاً :

ـ بل لاحظت بالطبع .. ولو أنى أراها جميلة دائمًا سواء ارتدت هذا الفستان أم غيره .

نظرت إليهما وقد تصاعدت حمرة الخجل إلى وجنتيها على نحو لم تألفه من قبل ، وما لبث أن انسحب (عادل) ليتركهما بمفردهما قائلاً :

ـ يمكنكما أن تستخدما الزورق كيفما تشاءان .. بشرط أن تكون القيادة بلا تهور .

* * *



٤ ـ لقاء عابر ..

سألها قائلاً :

ـ ماذا كان يقول لك ؟

قالت له بدلال :

ـ وما شأنك بذلك ؟

نظر إليها وهو يرسم ملامح الغضب على وجهه :

ـ ماذا تعنين بأنه لا شأن لى بذلك ؟

قالت وهى تدير له ظهرها :

ـ أعنى أنه ليس لك الحق فى توجيه هذا السؤال لى .

أمسك بذراعيها وهو يواجهها قائلاً :

ـ بل لى كل الحق فى ذلك .. فأنت تعلمين أننى أحبك .

خلصت ذراعيها من يديه وهى تقول له محتجة وإن كانت الابتسامة التى حاولت إخفاءها قد كشفت أن احتجاجها غير حقيقى :

ـ ما هذا الذى تقوله ؟ هنا لا يصح أن تنطق بكلمة كهذه ما دام ليس بيننا أى رباط رسمى .

وأدارت له ظهرها مرة أخرى لتخفى الابتسامة التى حاولت مداراتها عنه ، والتى عبّرت عن سعادتها لأنه عبّر لها عن حبه بهذا الشكل الصريح .

بينما اقترب منها ليهمس لها قائلاً :

ـ سيكون بيننا هذا الرباط الرسمى قريبًا .. فأنا أشعر أننى لا أستطيع الابتعاد عنك .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ والآن قولى لى .. ماذا كان يقول لك (عادل) ؟

واجهته بابتسامتها المشرقة هذه المرة قائلة :

ـ هل تغار منه ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ أنا أغار من (عادل) ؟ أنت لا تعرفين ما الذى يعنيه (عادل) بالنسبة لى .. إنه ليس مجرّد ابن خالة لى فقط .. إنه بمثابة أخ لى .. وأفضاله على عديدة .. كما أن بيننا صداقة عمر .

عقدت ذراعيها أمام صدرها قائلة :

ـ يبدو أن هذا هو نفس شعوره نحوك .

ـ إن بيننا روابط وثيقة للغاية .

ـ لكن .. ألم يحدث أن شعرت بشىء من الغيرة نحوه .. بسبب .. ثرائه ولكونك تعمل لديه ؟

ـ لا أخفى عليك .. لقد تمنيت كثيرًا أن أكون مثله .. لكننى لم أفلح فى ذلك قط .. ليس على المستوى المادى فقط .. ولكن على المستوى الشخصى أيضًا .. فرغم الصداقة والأخوة التى جمعت بيننا سنوات طويلة إلا أن هناك اختلافًا كبيرًا فى شخصية كل منا .. ونظرته للأمور .

سألته (ليلى) بفضول قائلة :

ـ كيف ؟

ـ لأن .. لأننا .....

ثم ما لبث أن توقف عن محاولته للتوضيح قائلاً :

ـ لكن ما شأنك أنت بذلك ؟ لقد سألتك سؤالاً ولم تجيبينى عليه بعد .. ما هو الحديث الذى كان يدور بينكما ؟

قالت له مداعبة :

ـ ولماذا هذا الانفعال ؟ ألم تقل لى إنك لا يمكن أن تغار منه ؟

قال لها بانفعال مصطنع :

- نعم .. ولكن .. يبدو أنك قد جعلت منى شخصًا غيورًا بالفعل .. أرأيت تأثيرك الضار على ؟

ضحكت قائلة :

- على أية حال .. اطمئن .. فصديقك وابن خالتك .. لا يمكن أن يفكر فىَ أو فى أية فتاة أخرى.. عدا ابنة زوجة عمى ، فهى الوحيدة التى استولت على مشاعره وعقله .

اقترب منها وهو يهمس لها قائلاً :

- حقًا ؟
- ألم تكن تعرف ذلك ؟
- بلى .. ولكن .. لم أكن أظن أن الأمر جدى إلى هذا الحد .

تنهدت (ليلى) وقد ارتسمت فى عينيها نظرة حزن وهى تقول :

- بل أظن أنه جاد تمامًا .
- ولماذا تقولينها وأنت حزينة هكذا ؟
- لأننى لا أعتقد أنها تستحقه .
- وما أدراك بذلك ؟
- اسمع يا (طارق) .. إن ابن خالتك برغم بعض

المساوئ لديه إلا أنه يبدو رجلاً نبيلاً .. أما (نجوى) هذه .. فهى .....

- هى .. ماذا ؟
- أعتقد أنها لا تحبه .. بل تسعى إلى استغلاله .
- وما أدراك بذلك ؟
- هذا هو ما أحسه .
- ربما كان إحساسك خاطئًا .. على أية حال لا أريد منك أن تتدخلى فى هذا الأمر .. إن (عادل) ليس بالشخص الغرير .. فهو لم يضع اسمه ومكانته فى عالم رجال الأعمال من فراغ .. إن لديه من الخبرة والدراية ما يمكنه من الحكم على الأشخاص حكمًا صحيحًا دون تدخل من الآخرين .

ووضع يده على كتفها قائلاً :

- دعينا نهتم بأمرنا .

نظرت إليه (ليلى) قائلة :

- (طارق) .. هل تحبنى حقًا ؟
- بالطبع .. هل لديك شك فى ذلك ؟
- وماذا بعد ؟
- لا أفهم .

ـ أعنى ماذا بعد الحب ؟ إن الحب لدينا هنا لا يؤدى سوى إلى طريق واحد وهو الارتباط والزواج .. هذا هو ما يعنيه الحب الشريف بالطبع .

قال (طارق) متحرجًا وقد فاجأته صراحتها :

ـ وهذا .. هذا .. ما أنوى عمله بالطبع .. ولكن إننى بحاجة لبعض الوقت حتى .....

قاطعته قائلة :

ـ لا أظن أن هذا يمكن أن يتحقق بيننا قريبًا .

نظر إليها (طارق) بدهشة قائلاً :

ـ لماذا ؟

أدارت وجهها عنه وقد لاذت بالصمت .. فاقترب منها قائلاً :

ـ ألا تحبيننى ؟

ـ لو لم أحبك .. لما سعيت إلى أن تكون بيننا هذه اللقاءات .. ولما سمحت لك أن تنطق أمامى بكلمة الحب .

ـ إذن ما هى المشكلة ؟

قالت له (ليلى) بعينين حزينتين :

ـ المشكلة أننى أجد نفسى مسئولة عن طفلة

صغيرة لم تتجاوز السنتين من عمرها .. وهى فى أمس الحاجة إلىَ .. ولا يمكننى أن أفكر فى نفسى وحياتى ومستقبلى دون التفكير فيها .

ـ أنت من حمَلت نفسك هذه المسئولية الثقيلة .. برغم كون المسئولية الحقيقية لا بد أن تقع على عاتق الأب .

أنت ما زلت شابة وجميلة .. من حقك أن تعيشى حياتك، وأن تفكرى لنفسك دون أن تحملى على عاتقك مسئولية الآخرين .

ـ لكنها .. أختى .

ـ وهو أبوها .

قالت له بسخرية تنم عن مرارة حقيقية :

ـ أبوها ؟ أنت لا تدرى أى أب هو .. إن هذه الطفلة كان من الممكن أن تلقى حتفها وتلحق بأمى بعد وفاتها بأيام قلائل .. لولا وجودى بجوارها .

ـ إذن .. ما الذى تقترحينه ؟

هزَت رأسها قائلة :

ـ لا أدرى .. إننى لا يمكن أن أتزوج بأى حال من الأحوال قبل أن أطمئن على مصير أختى الصغيرة .

وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة :
ـ ولا أظن أن من هى مثلى يمكن أن تفكر فى الزواج أو الارتباط .
همس لها وهو يمسك بيدها الصغيرة بين يديه :
ـ لا تقولى هذا .. أعتقد أن أمامنا وقتًا كافيًا لكى نجد حلاً لهذه المشكلة .
* * *
أوقف (عادل) سيارته أمام المزرعة حيث غادرها وبصحبته (نجوى) .. التى سألته قائلة :
ـ ألن تدخل إلى المنزل قليلاً لكى تشرب معنا كوبًا من الشاى ؟
ابتسم لها قائلاً :
ـ مرة أخرى .. فأنا مرتبط بموعد مهم الآن .
قالت له مداعبة :
ـ إياك أن يكون موعدًا نسائيًا .
ابتسم (عادل) قائلاً :
ـ أقسم لك إننى برىء من هذه التهمة .. فمنذ أن جئت إلى هنا لم يعد لدى ما هو أهم من المشروع ومنك .

قالت له معاتبة :
ـ إذن فأنت تساوينى بالمشروع السياحى .. وكنت أظن أننى أصبحت أحتل بالنسبة لك المرتبة الأولى .
قال لها وهو يضع يده على وجنتها فى حنان :
ـ لقد احتللتها بالفعل يا حبيبتى .
ـ هل سأراك غدًا ؟
ـ بالتأكيد .. سأمر عليك لأصحبك فى سيارتى إلى الفندق .
أمسكت بيده قائلة :
ـ وأنا سأكون فى انتظارك .
قاد (عادل) سيارته عائدًا إلى الفندق ، حينما لمح سيارة (همام) معطلة فى الطريق ، وقد انشغلت (ليلى) فى إصلاحها .. فهبط من سيارته بعد أن أوقفها ليقترب منها قائلاً :
ـ هل تعطلت منك مرة أخرى ؟
فوجئت (ليلى) برؤيته .. لكنها أخذت تسوى ثيابها التى اتسخت وتكرمشت فى أثناء محاولتها إصلاح السيارة قائلة :
ـ لقد اعتدت منها ذلك .

نظر إليها (عادل) مبتسمًا وهو يقول :

ـ لكن يبدو أنه لا جدوى من محاولة إصلاحها هذه المرة .

قالت له وهى تحدق فى السيارة بضيق :

ـ يبدو ذلك .

نظر (عادل) إلى السيارة قائلاً :

ـ على أية حال لا بد أن أحييها .. فقد ظلت تعمل برغم أنها تجاوزت عمرها الافتراضى .. بالمناسبة أين (عنتر) ؟

ـ لقد تركته فى المنزل .

وتطلع إلى وجهها للحظة وهو يضحك .. فنظرت إليه فى تساؤل يمتزج بالغضب قائلة :

ـ لماذا تضحك ؟

أمسك بيدها وهو يجذبها معه ، ودعاها للنظر فى مرآة سيارته الجانبية قائلاً :

ـ انظرى لترى بنفسك .

نظرت (ليلى) إلى المرآة .. لترى آثار الشحم والسواد الذى لطخ وجهها .. ثم نظرت إليه وقد ازداد ضيقها لأنه رآها على هذا النحو .

بينما لم يستطع هو أن يمنع نفسه من مواصلة الضحك .

قالت له غاضبة :

ـ لا أظن أن الأمر يستحق منك كل هذا الضحك .. فلو كنت فى مثل موقفى وتعرضت سيارتك لعطل فى الطريق .. فلم يكن الأمر سيختلف بالنسبة لك كثيرًا .

قال لها (عادل) وهو يحاول أن يتوقف عن الضحك :

ـ أنا آسف .. ولكن .. ولكن شكلك على هذا النحو .....

وعاد لمواصلة الضحك مرة أخرى دون أن يتمكن من السيطرة عليه .

بينما ظلت تنظر إليه فى غضب للحظة قصيرة .. انفجرت بعدها فى الضحك بدورها .

وما إن هدأت ضحكاتهما حتى أسرع بإخراج منديل من جيبه ليقدمه لها قائلاً :

ـ أنا آسف مرة أخرى .. هيا امسحى وجهك بهذا المنديل .

حاولت (ليلى) أن تعتذر قائلة :

- لا داعى لذلك .. فأنا لا أريد أن يتسخ .

- لا تهتمى لذلك .. فلدى عشرات غيره .

قالت له وهى تمسح وجهها بالمنديل :

- بالطبع .. فقد نسيت أنك من الأثرياء .

مازحها قائلاً :

- لا داعى للحسد .. وهيا لأوصلك إلى المزرعة بسيارتى .

- ألن أعطلك عن عملك ؟

- حتى لو كنت ستعطليننى .. فلا يمكننى بالطبع أن أتركك فى هذا المكان المقفر بجوار هذه السيارة المتهالكة .

- يمكننى أن أواصل الطريق على قدمى .. لكن المشكلة أننى أصحب معى أختى .

- إذن أحضريها .. وتعالى لتركبى السيارة معى .

نظر (عادل) إلى الطفلة التى كانت نائمة قائلاً :

- كم هى جميلة برغم هزالها ؟

سألته (ليلى) قائلة :

- هل تحب الأطفال ؟

حدّق (عادل) فى الطفلة متأملاً تقاطيعها الرقيقة قائلاً :

- أظن ذلك .

ثم تأمل عينيها اللتين كانتا شديدتى الشبه بعينى (ليلى) قائلاً :

- إن عينيها تشبهان عينيك .

احتضنت (ليلى) الطفلة قائلة :

- بل هى أجمل .

- اسمحى لى .. إننى لا أكاد أصدق أنها ابنة ذلك الرجل القاسى القلب الغليظ الطباع .

مسحت (ليلى) بيدها على شعر الطفلة وهى تنظر إليها بحنان قائلة :

- إنها ملاك كما كانت أمى .

ألا ترين أنه لا يصح أن تكون طفلة خارج فراشها فى هذا الوقت المتأخر ؟

- ما دام الوقت صيفاً فلا بأس عليها من ذلك .. بل إنه يفيدها ويساعدها على مقاومة السعال .. لو استطعت أن أبقى بها فى الهواء الطلق طوال النهار وفى بعض المناطق المشمسة لفعلت .. لكن الالتزامات المفروضة علىّ تمنعنى من ذلك .

ثم إننى لا آمن تركها بمفردها فى المنزل .

قال (عادل) وهو يقود السيارة :

ـ هل تعلمين أننى كنت قادمًا الآن من مزرعة عمك ؟

أعلم ذلك .

ـ لقد كنت بصحبة (نجوى) .

ـ أعلم ذلك أيضًا .. فقد رأيتها تستعد للخروج معك .. قبل أن أغادر المزرعة .

ـ (ليلى) .. ما رأيك فى (نجوى) بصراحة ؟

ـ ولماذا تسألنى أنا هذا السؤال ؟

ـ لأنك تعيشين معها ويهمنى أن أعرف رأيك فيها .

* * *



٥ ـ حياة قاسية ..

قالت (ليلى) :

ـ لقد قلت لى من قبل إن رأيى لا يعد مقياسًا للحكم على الأمور .. لذا فلا أعتقد أن رأيى يهمك فى شىء .. المهم هو رأيك ورؤيتك أنت .

ـ ومع ذلك .. فأنا أريد أن أعرف رأيك .. فلا داعى لمحاورتى والتذاكى معى .

ـ إنها فتاة مترفة .. ومدللة .. ولا أظن أنها تلائمك .

ـ لا أظن أن فى ذلك ما يعيبها .. فكل فتاة تميل إلى حياة مترفة .. ثم إننى لم أسألك رأيك فيما إذا كانت تلائمنى أم لا .. لقد سألتك فقط رأيك فيها .

ـ إن سؤالك هذا ينم عن اهتمامك الشديد بها .. وما دمت مهتمًا بها فهذا يعنى أنك تفكر فيما إذا كانت تلائمك أم لا .

ـ أظن أنها تلائمنى تمامًا .

ـ ما دمت ترى ذلك .. فأنت حر فى اختيارك .

نظر إليها قائلاً :

- يلوح لى أنك تبغضينها .. برغم أننى لم أر منها ما يدل على كراهيتها لك .

- هذا لأننى صريحة وواضحة .. ولا أحسن التمثيل مثلها .

ضحك قائلاً :

- على أية حال .. أنا واثق أنك تحملين قلبًا طيبًا رقيقًا .. برغم ما تبدين من رعونة لعلك قد اكتسبتها من بيئتك .

- على أية حال إننى لا أحمل كراهية لأحد .. لكننى أحب أن أكون واضحة وصريحة .

- هل يمكن أن أطلب منك شيئًا ؟

- وما هو ؟

- أريد أن يكون بينكما شىء من الود والألفة .. ولا تنسى أنها وأمها لم تعتادا على المناخ الذى يعيشان فيه هنا .

خذى مثلاً الشيخ (همام) .. أنت تعرفين طباعه جيدًا .. فإذا أظهر شيئًا من الشدة أو العنف فإنك تستطيعين أن تخففى من انفعاله ، أو تحولى بينه وبين الإقدام على أى تصرف أحمق أو متهور .

- إننى أتحاشاه عندما تتملكه نوبة الغضب .. ويجب عليهما أن تفعلا هذا .. ولكن يبدو أن زوجته قوية إلى الحد الذى يمكنها معه أن تكبح جماحه .

ولكن هذا يدل على مدى اهتمامك الشديد بهما .. أعنى بـ (نجوى) على وجه التحديد .

- نعم .. لا أخفى أننى شديد الاهتمام بها .. تمامًا كما أن (طارق) شديد الاهتمام بك

بالمناسبة .. لم تقولى لى.. ما رأيك فى (طارق) ؟

تضرج وجه الفتاة بالاحمرار .. وحدقت أمامها وقد لاذت بالصمت .

وكانا قد وصلا إلى المنزل .. فأسرعت بفتح باب السيارة قائلة :

- أشكرك على توصيلك لى .

ابتسم قائلاً :

- إننى فى الخدمة دائمًا .

ثم استطرد قائلاً وهو يراها تستدير متجهة إلى المنزل :

- ألا تدعيننى لتناول كوب شاى فى المنزل على الأقل .. مقابل توصيلى لك ؟

استدارت إليه قائلة :

- إننى لا أمتلك شيئًا فى هذا البيت .. لذا فليس من حقى أن أدعوك إلى شىء .. ولا أملك سوى شكرى لك .

واتجهت إلى المنزل فى حين ظل يتابعها بعينين تنمان عن إعجابه قائلاً :

- يا لها من فتاة !

راقبتها (نجوى) من وراء نافذة حجرة وهى تغادر سيارة (عادل) حاملة أختها على ذراعها .. فأسرعت لتستقبلها فى غضب قائلة :

- ماذا كنت تفعلين فى سيارة (عادل) ؟

نظرت إليها (ليلى) بدهشة قائلة :

- ماذا تقصدين بسؤالك هذا ؟

قالت لها (نجوى) بعصبية :

- أنا التى أسألك .. ويتعين عليك أن تجيبينى .

غادرت الأم حجرتها على إثر سماعها لصياح ابنتها وهى تتساءل قائلة :

- ماذا حدث ؟

قالت (نجوى) بانفعال :

- إن هذه الفتاة تتعامل معى بعجرفة وترفض حتى أن ترد على حينما أتحدث إليها .

قالت (ليلى) بهدوء :

- لقد تعطلت بى السيارة فى الطريق .. وحينما لمحنى الأستاذ (عادل) أحاول إصلاحها دون جدوى تطوع بتوصيلى أنا وأختى .. هل استرحت الآن ؟

- ربما تعمدت تعطيل السيارة خصيصًا حتى تتاح لك فرصة الركوب معه .. ألا يكفيك نصب شباكك حول ابن خالته .. فتسعين إلى استدراجه هو الآخر ؟

- إننى لا أفهم .. ما الذى تقولينه ؟

وفى تلك اللحظة انخرطت الطفلة فى بكاء حار بعد أن أزعجها هذا الصياح الذى أيقظها ، فحملتها (ليلى) إلى حجرتها قائلة :

- عن إذنك .

صاحت (نجوى) قائلة :

- تعالى هنا .. وحدثينى كما أحدثك .

لكن (ليلى) تجاهلتها ، وأسرعت بغلق باب الحجرة وراءها .

نظرت (نجوى) إلى أمها قائلة :

ـ هل ترين .. كيف تتعامل معى هذه الفتاة ؟

ربتت الأم على ظهرها قائلة :

ـ أنت مخطئة يا (نجوى) .

نظرت إليها (نجوى) باستنكار ودهشة قائلة :

ـ أنا مخطئة ؟

ـ نعم .. لأنك تحاولين أن تساوى نفسك بها .. إن هذه الفتاة خلقت لتكون خادمة .. وأنتِ سيدتها .. فكيف تساوين نفسك بها وتضعين نفسك فى مجال منافسة معها على قلب شخص مثل (عادل) ؟

ـ إنك لا تعرفين كم هو معجب بها ؟ فهى تمثل دور الفتاة البريئة البائسة أمامه تمثيلاً متقناً على نحو جعله شديد الاهتمام بها .

ـ هذا يعنى أنه ينظر إليها بعين العطف والشفقة .. والأمر بالنسبة له لا يمكن أن يتجاوز ذلك .. فشخص مثل (عادل) لا يمكن أن يفكر فى فتاة مثلها بأكثر من ذلك على أى حال من الأحوال .

ـ ولكنى أخشى .....

ابتسمت الأم وهى تضع يدها على كتف ابنتها قائلة :

ـ لا تخشى شيئاً .. ولا تبخسى قدر نفسك بأن تساويها بفتاة كهذه .. وإياك أن تظهرى شيئاً من هذا أمام (عادل) .

فهو شخص رقيق القلب برغم أنه من رجال الأعمال ، وما دام يشعر بشىء من العطف والشفقة تجاه الفتاة ، فعلينا أن نتظاهر بأننا نكن لها نفس المشاعر ونتعامل معها بالرفق والهوادة .. حتى لا يتهمنا بالقسوة وغلظة القلب .

اسمعى كلام أمك .. ما دام يحاول أن يبحث فيك عما يلائم طباعه وأفكاره ، فعليك أن تستكشفى بغريزتك هذه الطباع وتلك المبادئ ، وتتظاهرى بأنك تؤمنين بها مثله .. وأنها موجودة فيك .. فبهذا فقط تستطيعين إقناعه أنك الشخص الملائم له .. وتجعليه يحجم عن التردد فى الزواج منك .

* * *

دخلت زوجة عمها عليها حجرتها حيث كانت (ليلى) قد أخذت أختها بين ذراعيها تهزها وتغنى لها حتى عادت للنوم مرة أخرى .

قالت زوجة عمها :

- ماذا تنتظرين لغسيل الصحون ؟ هل ستظلين طوال الليل هنا تعملين على هدهدة أختك ؟

أشارت لها (ليلى) بخفض صوتها حتى لا توقظ الطفلة .

لكنها قالت لها :

- هيا .. اتركى هذه الطفلة .. والحقى بى فى المطبخ .

وانصرفت من الحجرة بينما قامت (ليلى) بوضع أختها فى الفراش بهدوء .. وذهبت لتلحق بها .

وما إن دخلت إلى المطبخ حتى اتجهت إلى الحوض وبدأت فى غسل الصحون كما أمرتها زوجة عمها .. التى قالت لها :

- هل أحضرت الطلبات التى طلبتها منك ؟

قالت (ليلى) وهى مستمرة فى غسل الصحون دون أن تنظر إليها :

- نعم .

- وأين هى ؟

- فى السيارة .

- وأين السيارة ؟

- لقد سمعتنى أقول إنها تعطلت بى فى الطريق .

- ولماذا لم تحمليها معك فى السيارة التى حملتك إلى هنا ؟

- لقد نسيت .. فقد حصرت اهتمامى فى حمل أختى إلى السيارة .. ونسيت الحاجيات التى أحضرتها بداخل السيارة المعطلة .

قالت زوجة عمها بغضب :

- شىء جميل .. إذن لم تأت باحتياجات المنزل وتركتها فى تلك السيارة .. لأنك كنت مهتمة بأختك .. ترى ماذا سيكون رأى عمك عندما يعلم بذلك ؟ يعلم أنك قد أنفقت نقوده على أشياء أضعتها .

- سأذهب لإحضارها غدًا وإصلاح السيارة .

- إن سلوكك منذ أن جئنا إلى هنا لا يحتمل .. وسأفكر فيما يجب اتخاذه معك .

- إننى لم أقصر فى شىء منذ حضورك أنت وابنتك .. وأنا أقوم على خدمة الجميع هنا .. كما لو كنت خادمة .. ولست صاحبة هذا المنزل .

قالت لها زوجة العم بحدة :

- صاحبة المنزل !! كيف تجسرين على قول هذا ؟

انفعلت (ليلى) وهى تستدير لمواجهتها قائلة :

ـ نعم .. فهذا المنزل بنى بمال أمى .. ولم ينفق عمى على إنشائه قرشًا واحدًا .. وبرغم ذلك لا ألقى هنا إلا كل مهانة ومذلة منك ومن زوجك ومن ابنتك .

احتدت المرأة عليها قائلة :

ـ لو سمعك عمك تقولين هذا .....

قاطعتها (ليلى) بحدة قائلة :

ـ لقد سئمت منك .. ومنه .. ومن كل شىء .. إننى لا أطالبه أو أطالبك أنت وابنتك بشىء .. كل ما أطلبه هو أن تتركونى لحالى .. ولا تزيدوا من صعوبة الحياة على هنا .

قالت لها زوجة عمها بكبرياء :

ـ ما دمت تأكلين وتعيشين فى هذا البيت .. فلا بد أن تلتزمى بكل ما هو مطلوب منك عمله .. وأن تفعلى ما تؤمرين به .

ـ حسن .. وما هى تلك الأوامر حتى أعرفها ؟

ـ أولاً : يتعين عليك أن تعرفى حدودك هنا .. ولا تتكلمى بهذه اللهجة المتعالية كلما تحدث إليك أحدنا .. أو تسارعى إلى هذه النبرة الحادة المستفزة .

ـ ثانيًا : متطلبات المنزل واحتياجاته يجب أن تكون فى المقام الأول .. ولا تجعلى من أمر رعايتك لأختك مبررًا للتقاعس عن أدائها .

ـ أولاً : إننى لا أحب المشاكل ولا يمكن أن أفكر لحظة واحدة فى أن أكون متعالية كما إننى لا أثب إلى المشاحنات إلا إذا دفعت إليها دفعًا .. فحب السلم غريزة لدى .

أما بالنسبة للعمل فلن أضار به ولن تجدى منى أى تقصير فيه .. ويمكنك أن تطمئننى فأنا لن أتخذ من رعايتى لأختى مبررًا للتقاعس عن القيام بدور الخادمة المطلوب منى .

إنى أحب العمل بطبيعتى لأنه يصرفنى عن التفكير فيما لا أحب التفكير فيه .

واستطردت قائلة :

ـ هل هناك شىء آخر ؟

ـ نعم .. لا أريد منك أن تتبسطى مع الأستاذ (عادل) .. فهو ليس من طبقتك وأنت لست من مستواه حتى ترفعى الكلفة معه وتحادثيه على النحو الذى رأيتك تحادثينه به .. كلما جاء إلى هنا .

نظرت إليها (ليلى) وقد أحست بالمهانة .. لكنها حاولت أن تخفى ملامح الألم التى ارتسمت على وجهها وهى تقول لها :

- حسن سأفعل ما تريدينه .. والآن أنا متعبة .. هل يمكن أن أنتهى من غسيل الصحون وأذهب إلى حجرتى لأستريح .

قالت لها وهى ترمقها بنظرة متعالية :

- لا تنسى أن تستيقظى فى ساعة مبكرة لإطعام المواشى والدواجن .

هزّت (ليلى) رأسها قائلة بمرارة :

- اطمئنى لن أنسى .

* * *



٦ - زائر الليل ..

اطمأنت (ليلى) على أختها .. ثم احتضنت كلبها وهى تقاوم عبراتها قائلة :

- هل يرضيك ما يحدث لى هنا يا (عنتر) ؟ إلى متى نحتمل هذه الحياة الذليلة ؟

لماذا لا أرحل عن هذا المكان .. الذى لم ألق فيه إلا الألم والشقاء ؟

لماذا لم أكن شجاعة بالقدر الكافى لكى أواجه هذه المرأة بحقيقتها ، وأبتعد عن هنا ؟

ولكن إلى أين أذهب ؟ ليس لى عمل أو مكان يووينى .. فإلى أين أذهب بك وبأختى الصغيرة ؟

لقد رحلت أمى وتركتنا تحت رحمة هذا الرجل القاسى ، دون أى سند فى الحياة ، وليت معاناتى اقتصرت على اضطرارى للحياة مع هذا العم القاسى.. بل أضيف إليها قسوة هذه المرأة وابنتها .

فكيف ؟ وإلى متى يمكننى تحمل الحياة مع هؤلاء الثلاثة ؟

ونظرت إليه وكأنها تخاطبه قائلة :

ـ لماذا تحدق فىّ هكذا ؟ أنا أعرف ما الذى تعبر عنه عيناك وتريد أن تقوله لو كنت تستطيع النطق .

تقول إنه يتعين على أن أتمسك بحقى .. وألا أستسلم لضعفى .. فهذا منزلك .. لأنه بنى من مال والدتك وعلى حساب شقائها .

ولكن كيف يمكن لفتاة ضعيفة مثلى أن تتصدى لهؤلاء الوحوش الثلاثة للمطالبة بحقها ؟ ثم كيف يمكننى إثبات هذا الحق.. وكل شىء قد آل إلى عمى؟

كما أنه عما قريب لن يكون لهذا المنزل وجود .. فسوف يزال كل شىء .. ويصبح المكان مجرد ذكرى .. ذكرى لقسوة رجل .. وغفلة امرأة .. وعذاب فتاة وطفلة صغيرة .. اختار لها القدر أن تحيا هذه الحياة الشقية البائسة ..

وبينما هى غارقة فى أفكارها الحزينة وحوارها مع نفسها .. سمعت صوت صفير خافت ينبعث من أسفل نافذتها .

أرهفت السمع قليلاً وهى تتساءل عن مصدر هذا الصفير .

ثم ما لبثت أن توجهت إلى النافذة .. فأزاحت الستار عنها وأطلت .. فإذا (طارق) يظهر من وراء شجرة وهو يلوح لها بيده .

اضطربت الفتاة لدى رؤيته وهمست قائلة :

ـ أنت ؟ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

أجابها قائلاً :

ـ ماذا أفعل ؟ لقد أخلفت موعدك معى .. وحرمتنى من رؤيتك أسبوعًا كاملاً .. فلم يكن أمامى سوى أن آتى لأراك بنفسى .

ـ فى هذا الوقت ؟ وتتسلل إلى المنزل هكذا كما يفعل اللصوص ؟! ماذا لو رآك أحد ؟

ابتسم قائلاً :

ـ لا يهمنى.. كان يتعين على أن أراك بأية وسيلة.

ـ أنت مجنون ؟

قال لها وهو يشير بيده فى حركة تمثيلية :

ـ نعم مجنون بك يا (ليلاى) .

ـ أرجوك ارحل عن هنا الآن .

ـ ليس قبل أن أراك وأتحدث إليك .

ـ ولكن .. هأنتذا قد رأيتنى وتحدثت إلى .

ـ كلا .. أريد أن أراك عن قرب .. وليس بطريقة عشاق القرون الوسطى .

هيَا .. قررى .. هل أصعد إليك أم تهبطين أنت إلىَ ؟

قالت له (ليلى) بتوسل :

ـ أرجوك .. ابتعد .. فلو رآك عمى .. لن يتورع عن قتلك .

قال لها بإصرار :

ـ فليكن .. لقد جئت إلى هنا متحملاً المخاطرة .

نبح الكلب بشدَة .. لكنها عمدت إلى إسكاته .

بينما قال لها (طارق) بلهجة مرحة :

ـ هل هذا هو (عنتر) ؟ أرجو أن تنقلى إليه تحياتى .

ـ من فضلك اذهب الآن .

ـ لقد قلت لك إننى لست مستعدًا للرحيل دون أن أتحدث إليك عن قرب .

لماذا لا تهبطين للتحدث إلى ؟

تلفتت حولها فى حيرة .. قائلة :

ـ يبدو أنه لا مناص من ذلك .

اضطرت (ليلى) للهبوط من النافذة ، حيث ساعدها (طارق) لكى تضع قدميها على الأرض .

وما لبثت أن تحولت إليه فى غضب قائلة :

ـ والآن .. هل تخبرنى ما معنى هذا الهذيان ؟

لكنه أشار لها قائلاً :

ـ انتظرى .. دعينى أتأمل هذا الوجه البرىء الرقيق قليلاً ، قبل أن تقولى أى شىء .. فقد أوحشتنى كثيرًا .

قالت له محتجة :

ـ (طارق) .. ماذا دهاك ؟ لم أكن أظن أنك يمكن أن تأتى بمثل هذه التصرفات الصبيانية .

ـ فلتسمها صبيانية .. ولكنك حقًا أوحشتنى كثيرًا .. وأحسست أننى أفتقدك كثيرًا .. فلم أدر بنفسى إلا وأنا آتى إليك لأبحث عنك .. وأراك بنفسى هنا .

ـ ألا تقدَر عواقب تصرف كهذا ؟ ماذا لو رآك عمى أو أى شخص آخر وأنا أتحدَث إليك هكذا .

ـ عند ذلك يمكنك أن تصرخى وتتهميننى بأننى لص .

ضحكت قائلة :

- ألم أقل لك ؟ إنك مجنون .

- نعم يا (ليلى) .. مجنون بحبك .

- لا تحاول أن تقنعنى بأن هذا التهريج يسمى حبًا .

- أتسمين حضورى إلى هنا - معرضًا نفسى لكافة المخاطر التى يمكن أن تنجم عن وجودى داخل مزرعة ذلك الوحش المسمى عمك تهريجًا ؟

وماذا يكون الحب إذن ؟

كان يمكننا أن نلتقى بأية وسيلة أخرى .

- دلينى عليها .. لقد ابتعدت فجأة دون سابق إنذار، وبعد أن جعلتنى أتعلق بك .. وأعتاد رؤيتك .. فكيف كان يمكننى أن أتصرف ؟

- كان يتعين عليك أن تأخذ قرصًا منومًا ، وتنام دون أن تأتى إلى هنا فى هذه الساعة المتأخرة من الليل .. وتتصرف بمثل هذا التهوّر .

- لقد سيطرت على تفكيرى هذه الليلة حتى وجدت نفسى لا أستطيع النوم قبل أن أراك .

- حسن .. هأنتذا قد رأيتنى .. أيمكنك أن تنصرف الآن ؟

- ألا تسرك رؤيتى يا (ليلى) ؟

- أنا لم أقل هذا.. ولكن لدى من المتاعب ما يكفى.

- أى متاعب ؟ أخبرينى بمتاعبك .

- وما ذنبك فى أن أقص عليك متاعبى ؟

- إذن فما زلتِ تعتبريننى غريبًا عنك يا (ليلى) .

- غريبًا !! كيف تقول ذلك يا (طارق) ؟ أنت تعرف أنك .. أنك ..

ابتسم قائلاً :

- أننى .. ماذا ؟ هيا .. لماذا لا تقولينها ؟ أتبخلين بها على ؟

خفضت (ليلى) بصرها قائلة :

- إنك شخص عزيز على للغاية .

- بل قولى .. إننى حبيبك .

نظرت إليه وكأنها تحاول أن تصل إلى أغواره قائلة :

- أتحبنى حقًا .. يا (طارق) ؟

قال لها معاتبًا :

- مـرة أخـرى يـا (ليلى) ؟ ومـا الـذى جعلنى لا أطيق بعادك عنى بضعة أيام قليلة ؟

وما الذى جعلنى أخاطر وآتى إلى منزلك فى هذه الساعة المتأخرة متسللاً كاللصوص ؟ لكى أقف أسفل نافذتك متطلعًا لأن أراك كما كان يفعل عشاق القرون الوسطى ؟

ألا يدلك كل هذا على مقدار حبى لك ؟

- لكننى فتاة فقيرة .. تعودت الحياة فى هذا المكان المتواضع .. وعلى العمل كخادمة .. أما أنت .....

وضع إصبعه على فمه ليشير لها بالصمت قائلاً :

- لا أحب أن أسمع منك ذلك .. ولا تصفى نفسك بالخادمة مـرة أخـرى .. الحب لا علاقة لـه بالفقر والغنى .. ثم إننى لست ثريًا كما ترين .

- لكنك على أيـة حـال لست فقيرًا معدمًا مثلى .. ولست مسئولاً عن رعاية طفلة تعانى المرض .

- كل هـذا لا يعنى بالنسـبة لـى شـيئًا .. فكـل ما يعنينى هـو أننى أحبـك .. لقـد أحببتـك كثيـرًا يا (ليلى) .

- إذن .. إذن .. لماذا ؟

وتوقفت عن متابعة الحديث فى حين سألها قائلاً :

- ما الذى تريدين قوله يا (ليلى) ؟

- لا شىء .

- لكنى مصر على أن أعرف .

- وأنا مصرة على أن تعود مـن حيث جئت الآن ، قبل أن يتنبه أحد إلى وجودك .

أمسك بيدها قائلاً :

- ومتى سنلتقى ؟

- لا أدرى .

- لن أبرح هـذا المكـان قبل أن تعدينـى بـأن نلتقى غدًا .

- لكنى لا أستطيع أن أعدك .

- بل تستطيعين .. فلم يكن هناك شىء يمنعك عن لقائى من قبل .

- إن أعبـاء المنـزل زادت علىّ ، إلى الحـد الذى لا تتاح لى معه فرصة للخروج أو مقابلتك .

- هـذا ليس مبـررًا .. لا بـد أن أراك غـدًا .. وإلا ستجدينني أمامك هنا مرة أخرى .

وفـى تلك اللحظـة سمعا صوتـًا يـأتى علـى مقربـة منهما .. فقالت له (ليلى) :

- أرجوك اذهب الآن .. فأنا أسمع صوت أقدام تقترب من هنا .

قال لها مودعًا :

- سأراك غدًا .. اتفقنا ؟ فى الكازينو المطل على البحر .

- اذهب الآن .

وأسرع بالابتعاد، فى حين تأهبت (ليلى) للعودة من حيث أتت ، حينما سمعت صوت عمها وهو يناديها :

- (ليلى) .. ماذا تفعلين هنا ؟

أخفت (ليلى) ملامح الاضطراب التى ظهرت على وجهها قائلة له :

- لقد سمعت صوتًا بجوار نافذتى .. فأردت أن أستطلع الأمر .

سألها قائلاً :

- بمفردك ؟ وبثياب النوم ؟

- لم تكن موجودًا فى المنزل .. ولم أرد أن أوقظ زوجتك أو ابنتها في هذه الساعة المتأخرة من الليل .

سألها عمها قائلاً :

- وهل اكتشفت شيئًا ؟

- كلاً .. يبدو أنها كانت أصوات بعض الفئران .

قال لها محذرًا :

- مرة أخرى .. لا تغادرى حجرتك فى هذا الوقت المتأخر من الليل .

- حاضر .

وهمَت (ليلى) بالانصراف .. لكنه استوقفها قائلاً :

- كيف حال الطفلة ؟

نظرت إليه وقد بدت أنها تستغرب سؤاله .. ثم ما لبثت أن قالت :

- إنها بخير .

قال لها وقد استفزته نظرتها :

- لماذا تنظرين لى هكذا ؟ هل تستكثرين علىَ أن أسأل عن ابنتى الصغيرة ؟

- إننى لم أعتد منك ذلك .

صاح فى وجهها بغضب :

- ماذا تظنين بى ؛ ولماذا تنظرين لى دائمًا هذه النظرة الكريهة التى تحمل معانى الاتهام ؟

هل أنا سيئ فى نظرك إلى هذا الحد ؟

- من فضلك .. أنا متعبة وأريد أن أنام .

وهمت بتركه عائدة إلى المنزل .. لكنه انفعل وعلا صياحه قائلاً :

ـ انتظرى .. حينما أتحدث إليك لا تنصرفى قبل أن أنهى كلامى معك .

هل نسيت أننى عمك ؛ لولاى لكنت شريدة الآن فى الصحراء ترعين الأغنام ، لكنى أويتك فى منزلى .. وفرت لك المسكن والطعام وجعلتك تشاركيننى فى الإشراف على هذه المزرعة .. فلماذا تجحدين كل ذلك ؟ ولماذا لا ألقى منك إلا الكراهية والجحود ؟

نظرت إليه (ليلى) قائلة .

ـ شريكتك ؟ تقصد خادمتك .. أو أمتك !

اقترب منها قائلاً :

ـ أنت فتاة وقحة .. كيف تحادثين عمك هكذا ؟

ـ إنك لم تشعرنى مطلقًا بأنك عمى .. لقد اغتصبت حقوق أمى وحقوقى .. كما اغتصبت هذه الأرض من قبل .. عاملتنى أسوأ معاملة يمكن أن تلقاها فتاة من شقيق والدها .. وأنا أدعو الله ألا يسامحك مطلقًا .

انهال على وجهها بصفعة قوية ألقت بها أرضًا وهو يقول :

ـ اخرسى ! إذن فما قالته زوجتى عنك صحيح .. أنت تدعين أنك صاحبة هذا المكان وسيدته .. لو سمعتك تقولين شيئًا كهذا مرة أخرى فسوف ألقى بك خارج المنزل .. وأتركك فى الصحراء تهيمين على وجهك كالإبل الشاردة .

كان (طارق) كامنًا وراء إحدى الأشجار وهو يرقب ما يدور أمامه ، وقد بذل جهدًا كبيرًا للسيطرة على نفسه .

فقد تملكه إحساس بالغضب والكراهية تجاه هذا الرجل .. وهم بأن يبرز له من وراء الشجرة لينهال عليه لكمًا ، جزاءً له على معاملته لفتاته على هذا النحو .. لكنه تراجع عن ذلك حتى لا يسبب لها المزيد من المتاعب .

خرجت الزوجة وابنتها على إثر صياح زوجها .. حيث رأته وهو يصفع الفتاة ملقيًا بها على الأرض .

ولم يبد على (نجوى) أى شعور بالتأثر .. بل اكتفت بالإعراب عن ضيقها قائلة :

ـ كل ليلة .. صياح وضجيج .. ألا يستطيع المرء أن يحصل على قدر من الراحة والهدوء فى هذا المنزل .

وعادت إلى حجرتها ساخطة .. فى حين اصطحبت الزوجة زوجها إلى حجرتهما قائلة :

ـ ماذا حدث ؟

قال لها (همام) ساخطًا :

ـ إن هذه الفتاة تثير أعصابى كلما التقيت بها .

سألته زوجته قائلة :

ـ ماذا قالت لك ؟

ـ إنها تدعى أن هذا المنزل من حقها .

قالت له زوجته :

ـ ألم أقل لك ؟ إنها ترغب فى أن تشاركنا التعويض .

قال لها وهو ما زال منفعلاً :

ـ نجوم السماء أقرب لها .. يكفى أننى أنفقت عليها كل هذه السنين منذ وفاة أمها .. لولا رعايتها لابنتى لما كان لها مكان هنا فى المنزل .

قالت الزوجة :

ـ إذا كانت تتخذ من هذه الطفلة (مسمار جحا) .. وسيلة للضغط عليك .. فإن لدى من يمكنه العناية بالطفلة على أفضل وجه .

نظر إليها باستغراب قائلاً :

ـ من ؟ لا تقولى أنت أو ابنتك .. فأنا أعرف أنه ليس لديكما القدرة ولا الاستعداد للقيام بهذه المهمة .

قالت زوجته باستنكار :

ـ بالطبع .. أو تظن أننى أو ابنتى سنرعى لك ابنتك أيضًا ؟ ألا يكفى رعايتنا لك ؟

سألها قائلاً :

ـ إذن .. ما الذى تقترحينه ؟

قالت زوجته :

ـ لقد تقابلت مع سيدة مسنة فى مدينة العريش سبق لها العناية ببعض الأطفال اليتامى .. مقابل أجر دفعته لها عائلات هذه الأطفال .

وأظن أننا لو دفعنا لها أجرًا مناسبًا .. فإنها يمكن أن تقوم بهذه المهمة على أكمل وجه .. على الأقل حتى تبلغ الطفلة سنًا مناسبة .. وبعد أن ننتهى من مسألة التعويض هذه .

نظر إليها (همام) بغضب قائلاً :

ـ ماذا تقولين أيتها المرأة ؛ هل تريدين لطفلتى أن تتربى خارج منزلى ؟

قالت زوجته وهى تحاول أن تحمسه للفكرة :

ـ لفترة من الوقت فقط حتى ندبر أمورنا ولكى لا ندع لهذه الفتاة فرصة للتدخل فى شئوننا بحجة رعايتها للطفلة .

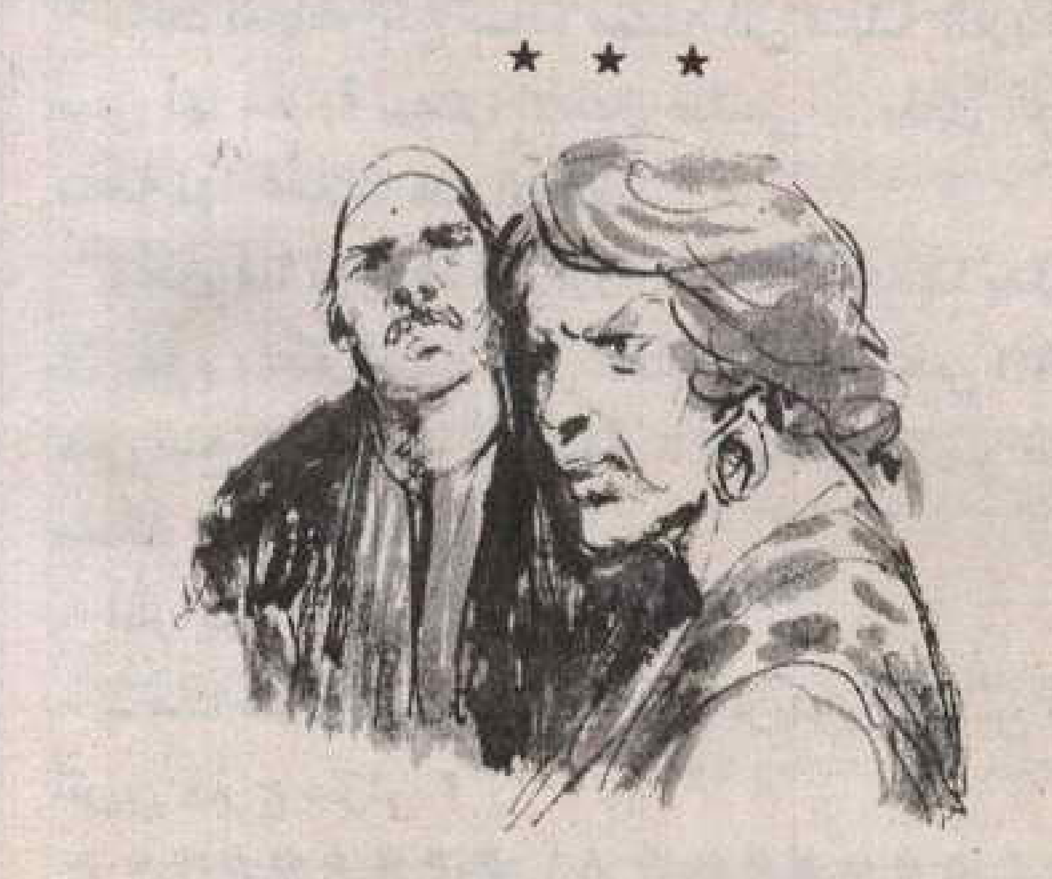
قال لها مرددًا :

ـ كلاً .. لا يمكننى أن أوافق على شىء كهذا .

قالت زوجته :

ـ نم الآن .. وغدًا نناقش الأمر بهدوء وعلى رويّة .

* * *



٧ ـ مسئولية الحب ..

قال (عادل) لابن خالته غاضبًا :

ـ أنت مجنون ! ما هذا التصرف غير المسئول الذى أقدمت عليه ؛ وكيف سمحت لنفسك أن تذهب إلى الفتاة فى هذا الوقت من الليل لتفرض عليها مقابلتك على هذا النحو ؟

ألا تعلم مقدار الإساءة التى كان يمكن أن تتسبب لها فيها بزيارتك الليلية هذه ؛ ألا يهمك سمعتها ؟ ماذا لو رآك أحد ؟! وأنت تعرف أن هذه المنطقة لها تقاليدها وعاداتها التى يعتبر تصرف كهذا خروجًا فظًا عليها ؟ ماذا لو رآك عمها وأنت بصحبتها فى منزله فى ساعة كهذه ؟ ألم تفكر فى كل هذا ؟

أقسم لك إن لقاءنا كان بريئًا .. ولم أتصرف نحوها أى تصرف مشين .

ـ أعلم ذلك .. لأننى أعرف الفتاة جيدًا ـ ربما أكثر منك ـ وأعرف أنها ليست بالفتاة التى تسمح لنفسها بالإساءة لأخلاقها أو تخطئ فى حق نفسها .. ولكنى

أتكلم عن تصرفك هذا فى حد ذاته .. وما كان يمكن أن يترتب عليه من متاعب لها هى فى غنى عنها .

ـ كل ما أعرفه هو أننى أحسست بحنين قوى لم أستطع أن أقاومه لرؤيتها .. ووجدتنى مدفوعًا للذهاب إليها دون أن أفكر فى أى شىء آخر .

لا تحاول أن تفعل شيئًا كهذا مرة أخرى حتى لا تتسبب فى أى إيذاء للفتاة .

ـ اطمئن .. لن أفعل .. لكن ألا يدل ذلك على أننى أحببت هذه الفتاة بشدة .. حتى إننى أصبحت لا أستطيع البعاد عنها ؟

ـ الحب مسئولية يا (طارق) .. ولا بد أن يكون تفكيرك نحوها تفكير شخص مسئول .

ـ هذا ما قالته لى أيضًا .. وقد وعدتك بألا أقدم على أى تصرف متهور مرة أخرى يمكن أن يتسبب لها فى أى متاعب .

ليس هذا فقط هو ما أتحدث عنه .

نظر إليه (طارق) فى تساؤل قائلاً :

ـ ماذا تريد أن تقول ؟

ـ إذا كنت تحبها حقًا .. يجب أن تذهب إليها من الباب لا من النافذة .

ـ تقصد أن أقترن بها .. لقد فكرت فى ذلك برغم بغضى لموضوع الزواج ، خاصة فى هذه المرحلة من حياتى .. لكنها هى التى رفضت .. وأخبرتنى أنها لا تستطيع الإقدام على الزواج الآن لإحساسها بالمسئولية تجاه أختها .. وأن كل ما يعنيها الآن هو رعايتها لها .. والاطمئنان التام على تجاوزها لأزمتها الصحية .

ـ وبالطبع .. فإن ما قالته كان مناسبًا لك تمامًا .. لأنه أعفاك من المسئولية تجاهها .

ـ أى مسئولية ؟

ـ مسئولية أى رجل محب تجاه الفتاة التى أحبها .. مسئوليته فى أن يرعاها ويخفف عنها .. ويوفر لها الأمان والستر الذى تحتاج إليه .. بعد أن يمنحها اسمه .

إن كل ما يهمك منها هو أن تلتقى بها .. وتسعد بقضاء بعض الوقت معها .. وأن تتبادل معها كلمات الحب دون أن تعبأ بأى شىء آخر .. أو بمعنى أدق دون أن يلزمك ذلك بأى شىء آخر تجاهها .

ـ أنت تظلمنى يا (عادل) .. فأنا أحب هذه الفتاة حقًا .. وأتمنى أن تكون زوجة لى .

ـ وماذا فعلت لتؤكد ذلك ؟

ـ لقد قلت لك إننى أبديت لها استعدادى للاقتران بها .. لكن هى التى رفضت .

ـ وأنت لم تكن متحمسًا بالقدر الكافى .. بدليل أنها عندما أخبرتك بمسئوليتها تجاه أختها ، ورغبتها فى الاستمرار فى أداء رسالتها نحوها .. لم تعقب بشىء وتجاوزت الأمر .

ـ وما الذى كنت تريد منى أن أعقب به ؟

ـ ما كانت تنتظر الفتاة أن تقوله وقتها .. لكنك لم تقله .. أى أنك مستعد للزواج منها ومشاركتها مسئولية رعاية أختها .. أو أن ارتباطكما لن يتعارض مع التزامها برعاية الطفلة ، ولم يمنع من وجود الطفلة معكما لترعياها معًا .

ـ لكن الأمر ليس بمثل هذه السهولة .. إننى عندما أفكر فى الزواج أريد زوجتى أن تكون متفرغة لى تمامًا ، ولا تحمل على كاهلها عبء مسئولية طفلة صغيرة تحتاج إلى رعاية حقيقية فى هذه السن .

ـ هذا تفكير أنانى .

ـ كيف تريد منى أن أتزوج من فتاة تحمل على ذراعيها طفلة صغيرة تحتاج إلى رعاية صحية ؟

ـ لو أحببتها لما ترددت .

ـ وهل تظن أن خالتك يمكن أن توافق على شىء كهذا ؟

ـ ومنذ متى تقيم لرأى والدتك اعتبارًا ؟ ثم إنك أنت الذى تحب الفتاة كما تدعى .. وأنت الذى بيدك اتخاذ القرار .

ـ لكن والد الطفلة ما زال على قيد الحياة .. وهو الأولى برعايتها .

ـ لا تغالط نفسك يا (طارق) .. فأنت تعلم أى أب هو ذلك الرجل .

وأنا أؤيد (ليلى) تمامًا فى عدم تخليها عن أختها لرجل مثله .

صمت (طارق) برهة من الوقت وقد شرد بأفكاره .

فسأله (عادل) قائلاً :

ـ فيم تفكر ؟

ـ لقد نبهتنى لشىء .. فأنا أظن أن ما قلته الآن هو نفس ما حاولت (ليلى) أن تقوله لى عندما التقيت بها ليلة أمس .. وعجزت عن أن تعبر عنه .

ـ بالطبع .. إنها لا تستطيع أن تقول لك شيئًا كهذا .. ولا تستطيع أن ترغمك على تحمل مسئوليتها عن أختها فى حالة ما إذا كنت قد عقدت العزم بالفعل على الاقتران بها .. لقد انتظرت أن تسمع منك أنت ذلك .

هزّ (طارق) رأسه قائلاً :

ـ نعم .. أظن أن هذا صحيح .

ـ إذا كنت تحب الفتاة حقًا .. عليك ألا تتخلى عنها .. خاصة أنك أدرى الناس بظروفها .

ـ يا لها من فتاة مسكينة ! لو رأيت كيف يعاملها ذلك الرجل ؛ لقد كدت أن أفتك به عندما رأيته وهو يصفعها بهذه القسوة ملقيًا بها على الأرض فى وحشية .. لولا خشيتى من أن أتسبب لها فى المزيد من المتاعب .

ـ إذا كنت تحب هذه الفتاة حقًا يجب عليك أن تنتشلها من هذا المكان ، وتبعدها عن ذلك الرجل .

ـ وماذا فعلت بشأن فتاتك ؟ هل وجدت أنها الفتاة المناسبة لك ؟

ـ إن الفترة القصيرة التى عرفتها فيها لم تمكننى من تعرف طباعها وخصالها جيدًا .. لكننى لم أر منها ما يشير إلى وجود خلاف كبير بيننا .

ـ إفعل مثلى وسر وراء اختيار قلبك .

ـ هذا ما أنوى أن أفعله .. فالفترة التى عرفتها فيها أثبتت لى شيئًا واحدًا .. وهو أننى أحببت هذه الفتاة حبًا جارفًا .. لذا قررت أن أتقدم لخطبتها .

ـ حقًا ؟!

ـ نعم .. وسيتم ذلك خلال اليومين القادمين .. ثم نتزوج بعد انتهاء المراحل الأولى للمشروع .

ـ إذن اسمح لى أن أهنئك .

ـ ليتك تتخذ خطوة مماثلة بشأن (ليلى) .

فكر (طارق) قليلاً .. ثم قال :

ـ أظن أنى سأفعل مثلك .. فأنا أيضًا أحببت هذه الفتاة حبًا جارفًا .

ـ إذن اسمح لى أنا أيضًا أن أهنئك مقدمًا .. وأنا أؤكد لك أنك أحسنت الاختيار .

★ ★ ★

٨ - إنى راحلة ..

استقبلها (طارق) بلهفة قائلاً :

- كنت أخشى ألا تأتى .

قالت (ليلى) :

- لقد بذلت جهدًا شاقًا لكى آتى إليك .. ولكن لم كل هذا الإلحاح فى رؤيتى اليوم ؟

- لأننى سأسافر غدًا .. وكان لا بد أن أراك قبل أن أرحل .

نظرت إليه باضطراب قائلة :

- ترحل ؟ ولكن لماذا ؟ وإلى أين ؟

- إلى (إيطاليا) .. هناك بعض الأشياء التى يتعين على أن أتعاقد عليها نيابة عن (عادل) بشأن مشروعه السياحى هنا .. وهذا يقتضى سفرى .

حدقت فى وجهه بشىء من الحيرة والاضطراب قائلة :

- ياه ! (إيطاليا) مرة واحدة .. لقد ظننت أنك ستسافر إلى (القاهرة) .

- لولا أن الظروف تقتضى سفرى لما سافرت .

- ولماذا لا يسافر (عادل) بنفسه لإتمام هذا التعاقد ؟

- إن لديه مسئوليات كبيرة هنا أيضًا .

قالت له وهى واجمة :

- هل ستغيب كثيرًا ؟

- ربما أسبوع .. أو أسبوعين .. أو ثلاثة على الأكثر .

ورانت بينهما لحظات من الصمت .. قطعها قائلاً :

- سأفتقدك كثيرًا .

- وأنت أيضًا .. لا أدرى ماذا أفعل بدونك ! فقد كنت تخفف عنى هموم الحياة هنا .

- (ليلى) قولى لى إنك تحبيننى .

قالت له بعينين مغرورقتين بالعبرات :

- إنى أحبك يا (طارق) .. وأنت تعلم ذلك .

- عندما أعود سنتزوج .

- ولكن أنت تعلم ظروفى .....

قاطعها قائلاً :

ـ أيًا كـانت هـذه الظروف لـن أجعلها تحـول دون زواجنا .

ـ و (زاهية) ؟

ـ سنربيها معًا .. وسـوف أرعاها كما لـو كـانت ابنتى ..

قالت له وقد تهلل وجهها بملامح السعادة :

ـ هل تعنى ذلك حقًا ؟

ـ إننى لن أتخلى عنك .. وعن حبى لك أيا كان الأمر يا حبيبتى .

فى هـذه المـرّة تساقطت عبـرات الفـرح علـى وجنتيها .. وهى تقول له :

ـ هذا ما كنت أتمنى أن أسمعه منك .

* * *

مـرّ على سـفر (طـارق) أسبوعان كاملان ظلت (ليلـى) خلالهما تـترقب وصول رسالة منـه وكـانت زوجـة عمها وابنتها ترهقانهـا بالعمـل ، وتثقلانهـا بالأوامر خاصة بعد خطبة الابنة لـ (عادل) .

وظل عمها يعاملها بالشدّة والقسوة كعادته .. ومـع ذلك فقد كانت سعيدة منشرحة الصدر .

ذلك لأنها لم تكن تفكر فيما يدور حولها .. وإنما كانت تفكّر فى تلك السعادة التى ملأت قلبها بالأمل .. وفى ذلك الأمل الذى ملأ قلبها بالسعادة .

أملها فى عـودة (طـارق) مـن السـفر .. وزواجـه منها لإبعادها هى وأختها الصغيرة عن هذا البؤس والشقاء .. وأمنيتها أن يأخذها بعيدًا عن قسوة عمهـا وشرور زوجته وعجرفة ابنتها .

وبرغم أنه قد مضى على سفر (طارق) أسبوعان.. لكن سفره لم يزدها فى الحقيقة إلا تعلقًـا بـه وشعورًا بالسعادة واطمئنانًا إلى الأمل .

وفـى النهاية وصلهـا منـه خطـاب حملـه إليهـا ابـن خالته .. فكادت تطير به فرحًا .

وأسرعت إلى حظيرة الدواجن بالمزرعـة لتقـرأه بمفردهـا بعيدًا عن الأعين وهى فـى شـدة الشـوق واللهفة .

وفضت الخطاب لتقرأ فيه التالى :

« حبيبتى (ليلى) .. يخيل إلى أنها سنوات مضت منذ سفرى .. ولكنـى مضطر للبقـاء فـى (رومـا) لفترة أطول من الوقت لأسباب تتعلق بالعمل .

أرجو أن تكونى فى صحة وسعادة وأن تحتفظى لى بابتسامتك المشرقة حتى عودتى »

حبيبك المخلص / طارق

أحست (ليلى) أن خطابه يفتقد إلى الحرارة التى عرفتها فى مشاعره نحوها .

بل إن الرسالة كانت قصيرة ، وتخلو مما يشير للاتفاق الذى عقده معها قبل سفره ، لم يكن فيه ذكر لحبه القوى .. ولا لمشاعره القويه التى أحستها يوم جاء متسللاً أسفل نافذتها .

ومع ذلك، فقد أرجعت (ليلى) ذلك إلى ظروف عمله .. أو لأنه ليس من أصحاب القلم الذين يجيدون صياغة الرسائل .

وبرغم أن خطابه جاء مخيبًا لآمالها بعض الشىء إلا أنها حفظته فى صدرها لتخرجه وتقرأه مرات عديدة فى كل يوم .

ودخلت عليها زوجة عمها المطبخ فجأة وهى تقرأ ذلك الخطاب بصوت خافت ، وتعلق عليه بعبارات من عندها توجهها إلى كلبها الذى كان واقفًا بجوارها يهز ذيله كما لو كان يفهم ما يتلى عليه .. وإلى أختها

التى كانت جالسة فى عربتها الصغيرة .. وهى تنظر إلى أختها بنظرات تدل على أنها تشاركها مشاعرها .

تقدمت زوجة عمها نحوها قائلة :

- ما هذا الذى تقرئينه ؟

فوجئت (ليلى) برؤية زوجة عمها فأسرعت بإخفاء الخطاب فى صدرها قائلة :

- إنه شىء خاص بى .

قالت لها زوجة العم بصوت عال :

- حقًا ؟ إن ما يخصك هنا هو تلك الأوانى والصحون المكدسة والتى لم تفرغى من غسيلها بعد .. ثم ترتيب الحجرات بعد ذلك .

أردفت (ليلى) قائلة :

- ومسح المطبخ .. وإطعام الدواجن .. وعلف الماشية .. وإحضار الحاجيات المطلوبة للمنزل .. ثم بعد ذلك القيام على خدمتكم وإعداد الطعام لكم .

أعرف ذلك .

ولكنى انتهيت الآن فقط من العمل فى حظيرة المواشى .. ومن حقى أن أحصل على قسط قصير من الراحة ، قبل أن أبدأ فى استكمال الواجبات المفروضة على .

وكانت الطفلة قد أرعبها صوت المرأة العالى الحاد النبرات .. فبكت .. ثم انقلب البكاء سعالاً .. فذهبت إليها (ليلى) وأخذت تربت على ظهرها بخفة لتساعدها على تسكين السعال .

بينما صاحت المرأة دون أن تأخذها شفقة بالطفلة الصغيرة :

ـ إنى لا أحب أن تدخلى هذه الطفلة المريضة هنا بالقرب من الطعام !

ثم انظرى إلى أقدام الكلب كيف تترك آثارًا على البلاط ؟!

ـ سأغسل الأرض بعد غسيل الأطباق .. والطفلة لا حيلة لها فى أن تكون مريضة .. كما أننى لا أستطيع أن أتركها بمفردها ما دامت نوبات السعال تهاجمها هكذا .

قالت زوجة عمها وقد تملكها الغضب :

ـ أخرجى الطفلة والكلب من هنا فورًا !

وكانت الطفلة قد عادت للبكاء ، فى حين انزوى (عنتر) فى أحد أركان المطبخ فأخرجت (ليلى) عربة الطفلة وتبعها كلبها .. ثم عادت فقالت :

ـ لقد أخرجتهما لأنك أخفتهما .. والآن هل تطلبين منى شيئًا آخر غير غسيل الأوانى ومسح المطبخ ؟

قالت زوجة عمها وقد خففت حدة نبراتها قليلا :

ـ أجل .. إننى غير راضية عنك يا (ليلى) .

قالت (ليلى) وقد بدأت فى غسل الأطباق :

ـ إننى أعرف أن إحدانا لا ترتاح إلى الأخرى .. لكن هذا سيان عندى ما دمت أقوم بواجبى .

قالت المرأة :

ـ لا أنكر أنك تقومين بأعمالك جيدًا .. لكن عيبك أنك تضيعين الكثير من الوقت فى العناية بهذه الطفلة .. وأنا أرى أنه لولا وجود هذه الطفلة لتوفر لك من الوقت ما يمكنك من القيام بأعمال المنزل والمزرعة ؛ بالإضافة إلى حصولك على قسط معقول من الراحة .

ـ لكننى أقوم بما هو مطلوب منى على أكمل وجه .. كما أننى لا أشكو من تعب .

قالت المرأة بنبرة صارمة :

ـ دعك من هذا الهراء .. إنك مازلت صغيرة ولا تستطيعين العناية بطفلة مريضة كهذه على الوجه الأكمل .

استدارت (ليلى) قائلة :

ـ هل تريدين أن تقولى إنك أكثر إشفاقًا منى على أختى الصغيرة ؟

قالت المرأة :

ـ بالطبع .. أليست ابنة زوجى ؟

ـ ليتك تقصرين عنايتك على زوجك .

قالت لها زوجة عمها بحدة :

ـ هل ستعودين إلى الحديث معى بهذه الوقاحة مرة أخرى ؟

نظرت (ليلى) إليها قائلة :

ـ إننى لا أدرى .. ماذا تبغين من وراء حديثك هذا معى ؟

قالت المرأة :

ـ إننى أسعى لما فيه مصلحة الجميع.. مصلحتنا.. ومصلحتك .. ومصلحة الطفلة .

ـ لا أفهم .

قالت لها بنبرة تدل على أنها قد اتخذت قرارًا معينًا :

ـ إن هذه الطفلة مريضة .. وقد يكون مرضها

معديًا .. على نحو يمكن أن ينتقل معه المرض إلى أحدنا .. كما أنك لا تستطيعين رعايتها على الوجه الأمثل .

لذا فسوف أرسلها إلى إحدى السيدات المتخصصات فى هذا الشأن لتشرف على رعايتها من كافة النواحى .. صحيًا ومعنويًا .. مقابل مبلغ من المال سيدفعه لها عمك فى بداية كل شهر .

نظرت إليها (ليلى) بانزعاج قائلة :

ـ ما هذا الذى تقولينه ؟

قالت المرأة بحسم :

ـ ما سمعته .. غدًا تعدين للطفلة ملابسها وحاجياتها لأن هذه السيدة التى ستشرف على رعايتها ستحضر فى الثالثة ظهرًا لأخذها .

سقط الإناء من يد (ليلى) محطمًا ، وقد تطايرت أجزاؤه على الأرض وهى تقول :

ـ إننى لن أسمح بذلك .

قالت زوجة عمها منزعجة :

ـ لقد حطمت الإناء ! أيتها الحمقاء ! إننا لن نلقى بها فى الطريق ، بل سنسلمها لمربية تجيد تربية

الأطفال ورعايتهم للعناية بها وتخفيف حملها عن كاهلك .. فما الذى يزعجك فى هذا ؟

سألتها (ليلى) قائلة :

- أى امرأة هذه التى تريدين أن تسلميها أختى ؟

قالت زوجة عمها وقد بدأ صبرها ينفد :

- (عوادة الحمدانى) من مدينة العريش .. لا بد أنك سمعت عنها .

- (عوادة) ؟ إنها امرأة قاسية القلب .. وتعامل الأطفال بصورة سيئة .

قالت زوجة العم :

- تقصدين امرأة حازمة .. لقد اخترتها لأن منزلها بعيد .. ولو كان قريبًا لأغراك ذلك بالذهاب إليها بصورة مستمرة على حساب التزاماتك هنا .. هيا استمرى فى أداء عملك ولا داعى لهذا الانزعاج الذى لا مبرر له .

فليس لدى من الوقت ما أحرقه معك فى نقاش سخيف كهذا .

قالت (ليلى) بإصرار :

- إننى لن أتخلى عن أختى لأى مخلوق كان .

قالت زوجة عمها :

- أنت لست ولية أمرها .. وإنما أبوها هو المسئول عن اتخاذ قرار كهذا ..

ولقد ناقشت عمك فى هذا الأمر ووافقنى على أنه من الأفضل أن يعهد لتلك المرأة بتربية الطفلة حتى ننتهى من تدبير أمرنا هنا .. وإن هذا لصالح الطفلة .. هيا اجمعى أجزاء الإناء التى حطمته .

ولأول مرة أحست بما يحس به الذى يوشك أن يفقد وعيه .. فجمعت أجزاء الإناء المحطمة بأصابع مرتعشة وهى ترجوها قائلة :

- أرجوك .. فلتؤجلى هذا الأمر لبعض الوقت .. وسوف أرحل معها من هنا ..

قالت زوجة عمها بحدة :

- ترحلين إلى أين ؟

- إلى أى مكان بعيد من هنا .. وتأكدى أننى لن أسبب لكما أنا وأختى أية متاعب .

سألتها قائلة :

- وهل تظنين أن الشيخ (همام) سيرضى لابنة أخيه أن تذهب إلى أى مكان بعيد عن منزله ؟ وهى

شابة فى مقتبل العمر ؟ ماذا يقول الناس عنه ؟ سواء رضى أم لم يرض .. فأنت ابنة أخيه .. وأى تصرف من جانبك محسوب عليه .

ـ إننى لا يمكن أن أقدم على أى تصرف خاطئ .. وعمى والجميع هنا يعرفون ذلك .

ـ إذن إلى أين تريدين أن تذهبى ؟

ـ سأتزوج !

نظرت إليها زوجة عمها بدهشة قائلة :

ـ ماذا ؟

ثم انفجرت فى الضحك .. قائلة :

ـ ومن هو سعيد الحظ هذا الذى تنوين الزواج منه ؟

ـ ليس مهمًا أن تعرفى من هو .. المهم أننى سأتزوج قريبًا .

قالت لها متهكمة :

ـ من وعدك بذلك خدعك .

ـ أنت لا تعرفينه .

ـ بل أعرف .. إنك تأملين فى أن (طارق) ابن خالة (عادل) سيقترن بك .. أليس كذلك ؟

ـ وكيف عرفت ؟

ـ أتظنين أننى غافلة عما يدور حولى هنا ؟ إننى أعلم كل شىء عن علاقتك به .. وإذا كنت تظنين أنه سيقترن بك فأنت واهمة .

إن شابًا مثله لن يفكر فى الاقتران من فتاة فقيرة مثلك .

ـ وما المانع ؟ إذا كان ابن خالته المليونير قد أصبح خطيبًا لابنتك .

قالت لها زوجة عمها بغضب :

ـ وهل تريدين أن تضعى نفسك فى مقارنة مع ابنتى ؟

قالت لها (ليلى) بتحد :

ـ إنها لا تتميز عنى بشىء .

انفعلت زوجة عمها قائلة :

ـ يا لك من مغرورة ! إنك لا تصلحين إلا أن تكونى خادمة لها ..

هيا أكملى عملك .. وسوف تأتى تلك المرأة لأخذ الطفلة غدًا .

واستطردت قائلة بسخرية قبل أن تغادر المطبخ :

ـ وإذا ما تزوجك ذلك الشاب حقًا .. فسوف أحاول أن أقنع عمك بأن تصحبيها معك إلى منزل الزوجية .

وتعالت ضحكاتها وكأنها سكاكين تنغرس فى أحشاء الفتاة .. التى انسابت عبراتها .

وسمعت فى هذه اللحظة صوت بكاء أختها .. فتركت المطبخ واندفعت إلى حجرتها لتحتويها بين ذراعيها قائلة :

ـ اطمئنى يا (زاهية) .. لن أتخلى عنك أبدًا .. ولن أتركهم يأخذونك منى مهما حدث .

وحدقت فى النافذة المفتوحة وهى تستطرد قائلة :

ـ لا بد أن نرحل عن هنا سريعًا .. قبل أن تنجح هذه المرأة فى تنفيذ مؤامرتها .

واقترب الكلب ليمسح برأسه قدميها وهو يتطلع إليها بنظرات صامتة .

فنظرت إليه قائلة :

ـ وأنت أيضًا يا (عنتر) .. سترحل معنا .. فلا يمكن أن أتخلى عنك .

* * *

٩ ـ لن أتخلى عنك ..

كان (عادل) قد اشترى لنفسه فيلا أنيقة فى العريش .. استغنى بها عن الإقامة فى الفندق .. لكى يكون قريبًا من المشروع السياحى الذى بدأ العمل فيه حتى يتمكن من الإشراف على تنفيذه بنفسه .

وكان قد فرغ من فوره من الحديث مع ثلاثة من المهندسين المشرفين على تنفيذ المشروع ، حول بعض التصميمات التى عرضوها عليه فى حجرة مكتبه .

وما إن فرغ من مناقشته التعديلات التى طلب إدخالها على التصميمات حتى انصرفوا .

بينما غادر المكتب إلى شرفة الفيلا وهو ينادى خادمه قائلاً :

ـ من فضلك يا عم (حسين) أحضر لى كوبًا من الشاى .. فأنا فى أمس الحاجة إليه الآن بعد المناقشات المطولة التى جرت بينى وبين المهندسين.

وانصرف الخادم لإحضار الشاى ، بينما وقف (عادل) يتأمل أشجار النخيل المحيطة بالمكان الذى كان يتميز بالهدوء والسكينة .

حينما رأى فتاة مقبلة على الطريق ، وهى تدفع أمامها عربة أطفال صغيرة ، يتبعها كلب يسبقها أحيانًا ويقتفى أثرها أحيانًا أخرى .

وسرعان ما تعرف الفتاة .. فأسرع بفتح باب الفيلا ليستقبلها قائلاً :

ـ (ليلى) ! ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

وقفت (ليلى) أمامه وقد خفضت بصرها قائلة فى خجل :

ـ لقد جئت أطلب حمايتك .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ حمايتى ؟ من ماذا ؟ هل هناك خطر يتهددك ؟

بكت (ليلى) قائلة :

ـ إنهم يريدون أن يأخذوا منى أختى .. ويدفعوا بها إلى امرأة عرفت بالقسوة وغلظة القلب ، لكى تتولى رعايتها بدلاً منى .. إنهم يريدون بذلك أن يتخلصوا منها ومنى .. فهم يعرفون أننى لا أستطيع أن أعيش بعيدًا عن أختى .. وأنا لن أسلمها لهذه المرأة أو سواها أبدًا .

ـ اهدئى قليلاً .. تفضلى بالدخول أولاً .. ثم اشرحى لى ما حدث ..

واصطحبها إلى شرفة الفيلا حيث أخذ الكلب يقفز حوله ويتمسح فيه .. ثم سألها :

ـ ماذا تشربين ؟ أم أعد لك طعامًا ؟

قالت له مضطربة :

ـ كلا .. لا أريد شيئًا .

ـ حسن .. اجلسى وأخبرينى بما حدث .

روت الفتاة له ما سمعته من زوجة عمها ، وأخبرته بأنها اضطرت للهرب من المنزل واصطحاب الطفلة والكلب معها قبل أن تنفذ ما وعدت به .

نظر (عادل) إليها وقد ارتسمت على وجهه ملامح الأسف ، قائلا :

ـ إذن .. فقد غادرت المنزل دون علمهم .. ودون أن تخبريهم أنك ستأتين إلى هنا .

ـ لم أجد سواك لألجأ إليه .. خاصة بعد سفر (طارق) .

ـ وماذا تريدين منى أن أفعل ؟

ـ تتحدث إلى عمى .. وتطلب منه أن يتركنى أعنى بهذه الطفلة دون تدخل منه أو من زوجته .

ـ وهل تظنين أنه سيستجيب إلىّ لو طلبت منه ذلك ؟ أنت تعرفين عمك جيدًا .. إنه رجل فظ الطباع .. ولا يتقبل نصيحة الآخرين بسهولة .

ثم إن هروبك من المنزل على هذا النحو ومجيئك إلى هنا قد يغضبه .. ويدفعه إلى التصرف بشكل متهور .

- لم أكن أظن أنك تخشاه إلى هذا الحد .. بل ظننت أن العكس هو الصحيح .

- إننى لا أخشاه بالطبع .. لكنى أخاف أن يقدم على تصرف أحمق نحوك .

ثم إننى لا أريد أن تحدث أى مشاكل بينى وبينه أو مع زوجته حتى لا ينعكس ذلك على ارتباطى بـ (نجوى) .

رمقته بنظرة فاحصة قائلة :

- آه ! لقد فهمت .. على أية حال أنا آسفة .

ونهضت سريعًا وهى تستطرد قائلة :

- على أية حال انس ما قلته لك .. واعتبر أننى لم آت إلى هنا .

استوقفها (عادل) قائلاً :

- انتظرى يا (ليلى) .. إلى أين تذهبين ؟

- بلاد الله واسعة .. وأنا سأعرف كيف أتصرف .

- دعك من هذا الاندفاع .. ودعينا نفكر فى طريقة لمساعدتك .. ومواجهة هذا الموقف .

- هل تريد مساعدتى حقًا ؟

- بالطبع .

- لقد عرضت على أن تشترى كلبى من قبل .

نظر إليها (عادل) باستغراب قائلاً :

- نعم .. ولقد قلت وقتها إنك لن تفرطى فيه أبدًا مهما كان الثمن .

- حسن .. إننى مستعدة لبيعه لك الآن مقابل مائة جنيه .

ازدادت دهشته وهو يسمع منها ذلك .. وسألها قائلاً :

- أتريدين بيعه لى ؟

قالت له وهى تغالب البكاء :

- نعم .. لم يكن شىء ليحملنى على التنازل عنه لأحد .. لكننى بحاجة إلى النقود .. فـ (زاهية) أغلى عندى من (عنتر) .. وأنا بحاجة إلى النقود الآن لأسافر بها إلى (القاهرة) ، والبحث عن وسيلة لعلاجها والعناية بها .

- إذا كنت تريدين نقودًا يمكننى أن أقدمها لك دون حاجة للتخلى عن الكلب .

قالت له سريعًا :

- كلا .. إننى لا أريد صدقة من أحد .

سألها قائلاً :

- ولماذا تعتبرينها هكذا ؟

- لأنه لا تسمية لها سوى هذا .

ابتسم (عادل) وهو يرمقها بنظرة إعجاب حنون قائلاً :

- أتحبين أختك إلى هذا الحد ؟

لقد تركتها أمى لى.. وقد وعدتها وهى على فراش الموت أن أعنى بها .. وسأعنى بها بنفسى كما وعدت .

- وهل تظنين أن المائة جنيه كافية لسفرك إلى (القاهرة) وعرضها على الأطباء هناك ؟

ثم عندما ينفد المبلغ منك .. ماذا ستصنعين بنفسك ؟

- لم أفكر فى نفسى بعد .. سأفكر فى ذلك بعد أن أطمئن على أختى .. هل تستطيع أن تعطينى المبلغ الآن ؟

- هل عاودتها نوبات المرض ؟

قالت (ليلى) بنبرة حزينة :

- نعم .. لقد اشتدَّ عليها المرض .

تطلع (عادل) إلى داخل العربة الصغيرة ليرى

الطفلة التى كانت نائمة ، وأحس بالأسى عندما رأى التغيير الذى طرأ عليها بعد رؤيته لها فى المرة الأخيرة ، فقد لاحظ شحوب وجهها وتلك العروق الزرقاء فى رسغيها ووجهها .

نظرت إليه (ليلى) قائلة :

- ما رأيك ؟ هل ترضى بأن أتخلى عن طفلة مريضة كهذه .. إلى سيدة غليظة القلب .. تتخذ من إيواء الأطفال فى منزلها وسيلة للتربح ، دون أن تقدم لهم العناية الواجبة ؟

كان (عادل) يفكِّر وأمارات الأسى على وجهه وما لبث أن قال لها :

- كلا .. بل أرسلها إلى أفضل طبيب متخصص للإشراف على علاجها ..

وإلى هذا الطبيب ستذهب أختك .

- ماذا تقصد ؟

- أقصد إذا كان لطفلتك أن تشفى وأن تحيا .. فلا بد أن يعنى بها بأسرع ما يستطاع .. هل أحضرت حاجياتها معك ؟

- أجل .. لقد أحضرت حاجياتها وحاجياتى أيضًا وكلها فى العربة .

ـ إذن فاجلسى قليلاً .

وضغط على جرس بجواره فحضر الخادم حيث قال له :

ـ اطلب من السائق أن يخرج السيارة الكبيرة ، وأن يستعد للسفر بها إلى (القاهرة) .

نظرت إليه (ليلى) بدهشة .. وكانت من تصرفه بين الشك واليقين فسألته قائلة :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ سآخذك أنت والطفلة معى الآن إلى (القاهرة) ، لعرضها على طبيب أخصائى أعرفه هناك .

تهلّل وجهها بالسعادة حينما سمعت منه ذلك .. وقالت له بتلقائية :

ـ حقًا ؟

لكنها ما لبثت أن ترددت قائلة :

ـ ولكن .. لكنى.. لا أستطيع أن أستغل كرمك على هذا النحو .

ـ لا تكونى حمقاء .. كان يتعين على أن أفعل ذلك منذ البداية .

ـ لكن ما ذنبك أن تتحمل نفقات علاج أختى.. و...

قاطعها قائلاً :

ـ هل تريدين أن تحرمينى من فعل الخير ؟ ثم إن اللّه (سبحانه وتعالى) قد أفاض على من فضله ولدى نقود كثيرة .. فماذا أفعل بها إذا لم تستخدم لغرض إنسانى كهذا ؟

ـ لكنى لا أريد أن أتسبب فى مشاكل بينك وبين خطيبتك وأمها .. وكذلك بينك وبين عمى بسببى .

ـ لا أظن أن خطيبتى أو أمها ستعترضان على واجب إنسانى كهذا .. وإذا كانتا مهتمتين حقًا بما فيه صالح الطفلة .. فهذا أفضل ما يمكن عمله لصالحها الآن .. أما عن عمك فلى كلام آخر معه .. وأنا أعرف كيف أتعامل مع هذا الرجل ؛ المهم الآن أن نسرع بالذهاب بأختك إلى الطبيب .

وفجأة أخذت (ليلى) يده بين يديها لتقبلها قائلة :

ـ أنت أطيب رجل عرفته .

نزع يده من يدها قائلاً :

ـ لا تفعلى ذلك ثانية ! فلا أريد أن تتخلى عن ذلك الكبرياء والاعتزاز بالنفس الذى رأيته فيك من قبل .

مهما كانت الصعوبات وقسوة الحياة بالنسبة لك .. لا تتخلى عن كرامتك وكبريائك .

قالت (ليلى) وهى فى شدة التأثر :

- إننى لن أستطيع أن أتعامل معك بكبرياء أبدًا .. بعد أن أحسنت إلىّ وإلى أختى على هذا النحو .

ابتسم قائلاً :

- وما أدراك أننى لا أحسن لنفسى بذلك ؟

وبعد قليل كانت السيارة قد انطلقت بهم فى طريقها إلى (القاهرة) .

ظلت (ليلى) صامتة وهى تحمل الطفلة بين ذراعيها .

فقال لها (عادل) :

- ضعيها على المقعد الخلفى وحاولى أن تنامى قليلاً .. فأنت تبدين مرهقة .

- كلا .. أخشى أن تنزلق من فوق المقعد .

- لكنك بحاجة إلى النوم .. حاولى أن تغمضى عينيك قليلاً .

- سأطعم الطفلة أولاً .

بعد أن فرغت من إطعام الطفلة تطلعت إليه قائلة :

- هل العمل الذى أرسلت (طارق) من أجله إلى (أوروبا) مهم إلى هذا الدرجة ؟

- نعم .. فقد ذهب للاتفاق على التصميمات الداخلية

للفندق الذى أنوى إنشاءه فى المدينة السياحية .. ولكن كان يمكن لأى شخص آخر أن يقوم بهذه المهمة بدلاً منه .. فأنا فى حاجة إليه هنا .

- هل تقصد أنه لم يكن من الضرورى أن يسافر (طارق) بالذات لإحضار التصميمات ؟

- بالطبع .. لكن هو الذى كان لديه رغبة فى السفر وأداء هذه المهمة .. فاضطررت إلى موافقته على ذلك .

- وهل الأمر يستدعى أن يتأخر هناك لمدة شهر ؟

- هذا العمل كان من الممكن أن ينتهى فى أسبوع واحد .. لكن يبدو أنه مستمتع بوجوده هناك .. لذا يحاول أن يماطل فى الحضور .

وقد أرسلت إليه للعودة فورًا .. وسوف أحاسبه على إضاعة كل هذا الوقت فيما لا طائل منه .

- إنه يعتمد على قرابته وصداقته لك .

قال (عادل) بجدية :

- فى العمل لا مجال للصداقة أو القرابة .. وهو يعرف أن كل دقيقة لدى لها ثمن .. ولا بد من استغلالها الاستغلال الأمثل .

والتفت إليها قائلاً :

- ولكن .. لم تسألين ؟
- لا شىء إنه مجرَد .. مجرَد سؤال .
- هيا .. أخبرينى بالأمر .
- إننى أشعر بحاجتى الشديدة لوجوده الآن .. فى ظل هذه الظروف التى أمر بها .
- هل يعنى هذا أن وجودى لا قيمة له بالنسبة لك؟
- اللّه وحده يعلم ما الذى كان يمكن أن يحدث لى لولا وجودك !

وما لبثت أن غلبها النوم فألقت برأسها على كتفه ، وقد أغمضت عينيها وراحت فى سبات عميق .

تأملها (عادل) وقد أحس بحنان وعطف جارف تجاه الفتاة .

وما لبث أن دفعته عاطفته لأن يهمس لها قائلاً بصوت حنون وهو يتعمد ألا يوقظها :
- لن أتخلى عنك أبدًا .. مهما حدث .

* * *

١٠ - إعجاب متبادل ..

تسلمت زوجة (همام) البرقية التى أرسلها إليها بإمضاء (ليلى) .. لكى يعلمها بمكانها ..

وقد أحست المرأة بالحنق على الفتاة .. برغم أنها لم تكن قلقة من رحيلها عن المنزل هى والطفلة ، قدر قلقها من كل تصرف تقدم عليه من تلقاء نفسها .

وكان زوجها قد قضى اليوم كله فى مدينة (العريش) ، وحينما عاد بدا مكفهر الوجه ، وهو يسأل زوجته قائلاً :
- ألم تظهر (ليلى) والطفلة بعد ؟

أجابته زوجته :
- نعم .. ولكنها أرسلت لك برقية اليوم .

قال بدهشة تمتزج بالغضب :
- برقية ؟ أين هى ؟!

قدمتها له زوجته قائلة :
- ها هى ذى .

قرأها الرجل قائلاً :

ـ سافرت إلى (القاهرة) ! كيف جرؤت على فعل ذلك دون أن تحصل على إذن منى ؟

قالت له زوجته :

ـ لقد اعتادت أن تكون شديدة الجرأة فى كل تصرفاتها .. وأنت المسئول عن ذلك .. لأنك منحتها حرية أكثر من اللازم .

قال منفعلاً :

ـ سيكون لى حساب آخر مع هذه الفتاة حينما أراها .

قالت زوجته متهكمة :

ـ وهل تظن أنها ستريك وجهها مرة أخرى ؟

صاح الرجل قائلاً :

ـ كفاك إثارة لأعصابى .. لا بد أنها ستعود برغمها .. فمن أين لها بالمال لكى تنفق على نفسها وعلى الصغيرة ؟

قالت له زوجته :

ـ هل هذا هو كل ما يمكنك أن تفعله أو تقوله ؟ ألا يهمك أين ذهبت ؟ وكيف ؟

ـ أليس هذا هو ما كنت تبغينه ؟ لقد ظللت

تضغطين عليها وتحيلين حياتها جحيمًا حتى ولت هاربة .

قالت له الزوجة :

ـ لقد فعلت بها أكثر مما فعلت .. أم نسيت ؟

ـ لكنك تعرفين أننى لم أكن موافقًا على أمر إرسال الطفلة لتربيها تلك السيدة .

ـ لكنك وافقت فى النهاية بعد أن تبين لك أن هذا لصالح الجميع .. وعلى أية حال ها هى ذى الفتاة قد ابتعدت .. ولا أظن أنها ستجسر على العودة .

ـ لا تنسى أنها ابنة أخى .. وفرارها بهذه الصورة فيه إساءة لى .

ـ إذن هيا سافر إلى (القاهرة) وابحث عنها .. إذا أردت .

ـ إنها لن تغيب طويلاً .. سأنتظر عودتها .. وسأعرف كيف أقتص منها جزاء على فعلتها .

ـ لا أظن أنها ستعود بعد أن أغواها ذلك الشاب .

انفعل قائلاً :

ـ أى شاب ؟

قالت الزوجة :

- (طارق) .. ابن خالة (عادل) .. لقد علمت أنها على علاقة به .

صاح قائلاً وقد اشتدت ثورته :

- على علاقة به ؟ ولماذا لم تخبرينى بذلك ؟

- ظننتك تعلم .. فالجميع يعلم بأمر تلك العلاقة .

- أتظنين أنها قد رحلت معه ؟

- بل لا بد أنها رحلت معه ؟

- لو كان ذلك صحيحًا فسوف أقتلها .

- لماذا ؟ إن أمرها لم يعد يعنينا فى شىء .

صاح قائلاً :

- ماذا تقولين ؟ إنها ابنة أخى !

- إنها لم تزد عن كونها خادمة هنا فى هذا المنزل .. دعك من هذا الانفعال الأجوف .. وإياك أن تقدم على تصرف أحمق قد ينتهى بك إلى السجن .. فكر فى مصلحتك .. وتذكر أنه من الأفضل لنا أن تظل هذه الفتاة بعيدًا .. حتى نحصل على مبلغ التعويض دون أن تتسبب لنا فى مشاكل .

- ولكن .. ماذا سيقول الناس عنى بعد أن يكتشفوا أمر هربها مع ذلك الشاب ؟

- لن يقولوا شيئًا .. فالناس هذه الأيام لا يعنيهم سوى أنفسهم .. وكل امرئ مشغول بنفسه .

كما أننا بعد أن نحصل على مبلغ التعويض ، سنرحل إلى (القاهرة) ونترك (العريش) بمن فيها .

فكر الرجل قليلاً .. ثم قال :

- نعم .. معك حق .. هيا أعدى لنا العشاء .

ولكن ما إن انصرفت حتى اعتراه الهم مرة أخرى .. وهو يقول لنفسه :

- ولكن .. ماذا عن ابنتى ؟ هل أتركها تحت رعاية هذه الفتاة العابثة ؟ كلا .. لا بد أن أستعيدها منها بأية وسيلة .

* * *

كان (عادل) قد انقطع عن زيارة مزرعة (همام) بعد سفره إلى (القاهرة) ، دون أن تعرف (نجوى) السر وراء غيابه ، وعدم محاولته الاتصال بها طوال الفترة الماضية .

لذا قررت أن تذهب للبحث عنه بنفسها واستجلاء الأمر .

فاستقلت سيارة (همام) وقادتها بنفسها ، متجهة

إلى الفيلا التى يقطنها (عادل) والتى أراها إياها من قبل .. ووعدها أن تكون مسكن الزوجية طوال فترة إقامته فى (العريش) .

لكن السيارة تعطلت كالعادة فى منتصف الطريق .. واضطرت أن تواصل السير على قدميها .

فلما اقتربت من الفيلا كان التعب قد نال منها .. خاصة وأن حذاءها الضيق المرتفع لم يكن ليصلح للسير فى طريق رملى وعر ملىء بالأحجار .. كما أن الوقت كان ظهرًا وكانت الشمس متوهجة شديدة الحرارة .

ولما قال لها الخادم الذى فتح لها الباب إن (عادل) مسافر ، كادت أن تجلس على الأرض وتنفجر باكية .

ولما كانت خيبة أملها واضحة على وجهها .. قال لها الخادم :

- إن (طارق) بك موجود يا سيدتى إذا رغبت فى مقابلته .

ولم تكن تفكر فى هذا الوقت إلا فى مقعد تستريح عليه فى مكان ظليل .. فقالت للخادم :

- لا بأس .. سأقابل (طارق) بك .

تقدمها الخادم ليفتح لها باب غرفة الاستقبال .. ثم تركها وذهب ليبحث عن (طارق) .. فما كادت (نجوى) تدخل الغرفة حتى اختارت لنفسها مقعدًا مريحًا ، فارتمت عليه وهى فى شدة التعب ، وخلعت حذاءها لتريح قدميها اللتين كانتا تنبضان بالألم ، وتنفض ما دخل فى الحذاء من تراب ورمل .

ثم أسندت رأسها إلى ظهر المقعد وأغمضت عينيها .

ولما فتحت عينيها رأت (طارق) أمامها ، وهو يحدق فيها بنظرات تنم عن الإعجاب .. فاعتدلت فى جلستها سريعًا وقد نسيت تعبها وخيبة أملها .

لقد نسيت كل ذلك لما رأت (طارق) وما يتميز به من وسامة وجاذبية ..

قالت له مرتبكة :

- آسفة .. يبدو أننى قد غفوت قليلاً .

سألها قائلاً :

- هل قطعت مسافة طويلة ؟

- نعم .. لقد تعطلت السيارة فى منتصف الطريق.. واضطررت أن أكمل الطريق سيرًا على قدمى .

- أنت خطيبة (عادل) بلا شك .

- نعم .. وأنت ابن خالته .. أليس كذلك ؟

مدَ لها يده مصافحًا وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة زادته وسامة وهو يقول لها :

- نعم .. يسعدنى أن ألتقى بك .. ويؤسفنى أننا لم نلتق من قبل وأننى لم أحضر خطبتك على (عادل) .

ابتسمت له قائلة :

- لقد قيل لى إنك كنت مسافرًا .

- نعم .. فى الحقيقة أننى لم أعد من السفر إلا صباح اليوم فقط .. وقد جئت فورًا إلى هنا .

- حقًا .. إنه أمر غريب .

- وما الغريب فى ذلك ؟

لقد عرفت أنك على صلة ما بـ (ليلى) .. أظن أنك تعرفها .. فهى تعيش معنا فى مزرعة عمها .

- آه طبعًا .. ولكنى ما زلت لا أفهم ما الغريب فى ذلك ؟

- لقد اختفت (ليلى) من المنزل والمزرعة ، ومعها أختها الطفلة منذ ثلاثة أيام ، وقد وصلتنا منها برقية تقول فيها إنها سافرت إلى (القاهرة) لعلاج أختها هناك .. وظننا .....

ثم قالت له بعد برهة من التردد :

- ظننا أنها بصحبتك .

- بصحبتى أنا ؟ هذا عجيب! سأخبرك بما عرفته.. وإن كنت لا أعرف الكثير .. لقد أخبرنى الخادم حينما جئت إلى هنا أن (عادل) قد سافر فجأة فى السيارة وبصحبته فتاة وطفلة .. وبالطبع فهذا يعنى أن (ليلى) قد جاءت إلى هنا .

نظرت إليه (نجوى) بدهشة قائلة :

- هذا مستحيل ! وما الداعى أن يصحبها معه إلى (القاهرة) ؟ ثم لماذا لم يخبرنى بشىء ؟ لقد انقطع عن زيارتنا فجأة ولم يكلف نفسه حتى إرسال برقية يطمئننا فيها على نفسه وعلى الفتاة .

قال (طارق) محاولاً أن يهدئ من انفعالها :

- لا بد أنه وجد الطفلة مريضة للغاية ؛ فاصطحبها إلى (القاهرة) لعرضها على الأخصائيين هناك .. هذا هو الاحتمال المقبول .

- ولكن كيف يتجاهلنى هكذا ؟

- ربما أن الوقت أو الظروف لم تساعده على إطلاعك على الأمر .

قالت له (نجوى) وقد هدأ انفعالها قليلاً تحت تأثير ابتسامته الجذابة :

ـ هل جئت إلى هنا كثيرًا من قبل ؟

ـ نعم .. لقد كنت أقيم تقريبًا مع (عادل) فى هذه الفيلا منذ أن اشتراها .

ـ هل أخبرك أننا سنقيم بها بعد الزواج ؟

ـ نعم .. وأظن أنك ستضفين عليها جمالاً من نوع خاص لو أقمت بها .

ـ لكنى لن أبقى فى (العريش) طول الوقت بالطبع.. فالحياة هنا لا تحتمل ولا بد أن يكون لى مسكن آخر فى (القاهرة) .

ـ إن (عادل) لديه أكثر من مسكن فى (القاهرة) .. لكن أريد أن تعرفى أن الحياة هنا ستختلف بعد إقامة القرية السياحية .

ستجدين حولك حياة أوروبية عصرية مختلفة تمامًا .. وربما لن تفكرى بعدها فى مبارحة المكان أو العودة إلى (القاهرة) مطلقًا .

صمتت (نجوى) برهة وهى تتأمله بنظرات مختلسة .. قبل أن تواتيها الجرأة لتقول :

ـ هل صحيح أنك .. أنك تحب هذه الفتاة ؟

ـ تقصدين (ليلى) ؟ ولم لا ؟ أظن أنها فتاة تستحق أن تحب .

ـ لكنها مجرّد فتاة بدوية .. جاهلة .. وخشنة الطباع .. ولا أدرى ما الذى يعجبك فيها ؟

ابتسم (طارق) قائلاً :

ـ اسمحى لى ألا أوافقك على ذلك .. فهى ليست بدوية ؛ برغم أن جذور غالبية أهالى (العريش) تنتمى إلى أصول بدوية .. كما أنها ليست جاهلة .. بل هى أذكى فتاة رأيتها فى حياتى .. أما خشونة الطباع فلا ذنب لها فيها وإنما فرضتها عليها الحياة والظروف التى عاشتها .. كما أنها أحيانًا تبدو فى صورة ملائكية .

قالت له (نجوى) وقد أحست بشىء من الغيرة :

ـ يبدو أنك معجب بها للغاية حتى إنك تضفى عليها كل هذه الصفات .

ـ إننى أحاول أن أكون صريحًا معك .. وأقول رأيى بحياد تام .

سألته بفضول قائلة :

ـ ما الذى لفت انتباهك إليها ؟

ـ لقد لاحظت أنها ذات جمال غير عادى .

قالت له باستخفاف :

ـ حقًا ؟!

ـ إنها لا تبلغ نفس الدرجة من الجمال الذى لديك بالطبع .. لكنها كانت أجمل فتاة رأيتها فى هذه المنطقة .. وقد أثارت دهشتى بتصرفاتها غير التقليدية .

ـ وعلى ذلك .. هل تنوى الزواج منها ؟

صمت (طارق) برهة .. وهو يفكر .. ثم ما لبث أن قال :

ـ أظن أننى كنت مقتنعًا بمسألة الزواج هذه قبل سفرى .. لكن عندما سافرت واختليت بنفسى فى الخارج رأيت أنه من الأفضل أن أتريث قليلاً .. وألا أتعجل تنفيذ هذا الأمر .

ابتسمت (نجوى) قائلة :

ـ لعلها فتاة أوروبية التقيت بها هى التى جعلتك تغير رأيك .

ابتسم (طارق) قائلاً :

ـ لم أقل لك إننى غيرت رأيى تمامًا فى هذا الشأن .. ولكن كل ما هنالك .. أننى لا أريد أن أتسرع .. خاصة وأننى لست ممن يحبذون فكرة الزواج ذاتها .. وأرى أنه قيد ويتعين على المرء ألا يتسرع فى وضعه فى معصمه .

ضحكت (نجوى) قائلة :

ـ إياك أن تردد هذا القول كثيرًا أمام ابن خالتك .

ضحك بدوره قائلا :

ـ كلا اطمئنى .. (عادل) مختلف عنى فى هذا الأمر .. إنه إذا ما اختار أن يتزوج فسوف يتزوج .. وأنا لم أره من قبل يتراجع عن قرار اتخذه خاصة إذا ما كان قد درسه جيدًا .

ثم تأملها بعينين تبرقان ببريق الإعجاب وهو يستطرد قائلاً :

ـ وإن كنت بعد أن رأيتك الآن أجدنى مضطرًا لأن أحسده .

قالت له بدلال وقد أسعدها سماع هذا الإطراء منه :

ـ لا داعى للمبالغة .

ـ لكنى لا أبالغ .

ـ إذن .. فقد اعتدت ترديد عبارات الإطراء هذه على كثيرات غيرى .. فلا أظن أن شابًا مثلك لم يعرف فى حياته سوى هذه الفتاة البرية التى التقيت بها هنا .

ـ فى الحقيقة .. لقد عرفت الكثيرات .. لكنى لم أر من هى فى مثل جمالك الأخاذ .

ضحكت قائلة :

ـ لولا أنك ابن خالة (عـادل) وصديقه لقلت إنك تغازلنى .

ـ فى الحقيقة لا أستطيع أن أمنع نفسى من ذلك .

ـ ألا تخشى أن يغضبنى ذلك ؟

ـ نعم .

ـ لمـاذا ؟

ـ لأنك تشـعرين بقيمـة جمالك وبأنـه يسـتحق أن يُمدح .

ـ أنت فى غاية الجرأة .

ـ والصراحة أيضًا .. والآن ما رأيك لو دعوتك على الغداء ؟ لقد سرت مسافة طويلة .. ولا بد أن تكونى جائعة .

ـ لا أستطيع أن أنكر ذلك .. لكنى لن أستطيع أن أتناول الطعام معك الآن .

لمـاذا ؟

ـ لأننى تأخرت .. ولا بد أن أعود الآن إلى المنزل .

ـ لقـد وصـلت تـوًا .. وأنـا لن أؤخـرك كثيـرًا .. لا أظن أن الخادم هنا قد أعد طعامًا مناسبًا .

لذا سأصحبك معى إلى الفندق القريب من هنا لنتناول الغداء هناك .

وسـوف أقــوم بتوصـيلك بنفسـى إلـى المنـزل بسيارتى .. أظن أنك لن تمانعى الآن .

هزّت كتفيها .. ثم أومأت برأسها موافقة وهـى تبتسم له .

لقد أحست نحوه بإعجاب شديد سيطر على حواسها منذ الوهلة الأولى ، حتى إنها نسيت تمامًا غضبها من (عادل) لاصطحابه (ليلى) معه دون إخبارها بالأمر .. ولم تعد تفكّر فى عدم لقائها بـه أو اتصالـه بهـا فى الفترة الماضية .

* * *

١١ - شذى عبيرها ..

انتهى الطبيب من فحص الطفلة .. ثم تحدث إلى (ليلى) قائلاً :

- منذ متى والطفلة تعانى هذا المرض ؟

قالت (ليلى) :

- منذ نعومة أظفارها .

- هل عرضتها على أطباء من قبل ؟

- نعم .. لقد ذهبت بها إلى المستشفى فى (العريش) .. وأحضرت لها الدواء الذى حدده لها الطبيب هناك .

مطّ الطبيب شفتيه قائلاً :

- مع الأسف .. إن العلاج الذى قدم لها لم يكن كافيًا .. كما أن الطفلة تعانى هزالاً شديدًا .. وهذا يعنى أنها لم تكن تلقى الرعاية الصحية الغذائية بالقدر المناسب .. مما تسبب فى تدهور حالتها .

نظرت إليه (ليلى) باضطراب قائلة :

- هل أصبحت حالتها سيئة إلى هذا الحد ؟

لكن (عادل) حاول أن يهدئ من روعها قليلاً .. ثم تحدث إلى الطبيب :

- المهم .. هل يمكن شفاؤها أم لا ؟

قال له الطبيب :

- أعتقد أنه من الممكن علاجها .. وإن كان ذلك سيحتاج لبعض الوقت .

سأله (عادل) :

- بكم تقدر هذا الوقت ؟

- ثمانية أشهر على الأقل .. بشرط أن يتم وضعها خلال الأشهر الثلاثة الأولى فى مصحة علاجية متخصصة بما يلائم حالتها .. ثم تستكمل فترة العلاج فيما بعد .

قالت (ليلى) باضطراب :

- ثلاثة أشهر تقضيها (زاهية) بعيدًا عنى ؟

- هذه هى الوسيلة الوحيدة لإنقاذها .. وإلا استفحل مرضها .

- لكنى لا أستطيع أن ......

قاطعها (عادل) قائلاً :

- ألا ترغبين فى شفائها ؟

- بالطبع .. لكنى أستطيع أن أرعاها بنفسى .

- المصحة العلاجية بها إمكانيات طبية ، واستعدادات أكثر مواءمة لعلاجها على النحو الأمثل .. كما أنك مهما حاولت .. فإن ظروفك لن تسمح لك بملازمتها دائمًا ورعايتها طوال الوقت .. وهذا ما يمكن توافره فى المصحة .

تدخل الطبيب قائلاً :

- إننى سأشرف على علاجها بنفسى .. ومتابعة حالتها طوال فترة إقامتها فى المصحة العلاجية .. حيث أعمل هناك .

سألت (ليلى) :

- وبكم تقدر مصاريف هذه المصحة طوال فترة علاجها ؟

- ستة آلاف جنيه .

نظرت إليه (ليلى) فى فزع قائلة :

- ماذا ؟ لكن هذا المبلغ .....

قاطعها (عادل) مرة أخرى قائلاً :

- لا تحملى همًا لذلك .. سأتولى مصاريف علاجها بنفسى .

- لكن .. هذا كثير .. ولا يمكن أن أقبله .

- لا تفكرى فى شىء الآن .. سوى شفاء أختك .. أما ما عدا ذلك فاطرحيه بعيدًا عن تفكيرك .

- لكن .. يجب أن أسهم فى نفقات علاج أختى .. ولو بقدر بسيط .. فأنا فى النهاية المسئولة عنها .

أطلق (عادل) زفرة قصيرة قائلاً :

- فى الحقيقة لست أنت المسئولة عنها .. وإنما هو أبوها الذى ضن عليها بالعلاج المناسب والرعاية الصحية الملائمة ، حتى تدهور بها الأمر إلى هذا الحد ، وعلى أية حال .. ليس هذا هو مجال مناقشة ذلك الأمر الآن .. دعينا نبدأ فى اتخاذ الإجراءات المطلوبة لنقل الطفلة إلى المصحة ، وبعدها يمكن أن نتناقش فى أى شىء آخر .

* * *

سرت (ليلى) بكل ما شاهدته فى المصحة من نظام ورعاية ونظافة ، وحسن معاملة ، وقد ألقت على رئيسة الممرضات وابلاً من الأسئلة حول الفترة التى ستقضيها أختها فى المستشفى ، حتى اطمأنت تمامًا على وجودها فى ذلك المكان ، وبعد أن انتهت

من حديثها مع رئيسة الممرضات وتوصيتها لها على أختها بما يدل على مقدار حبها لها .. طلب منها (عادل) أن تستعد للسفر معه والعودة إلى (العريش) .

قالت له (ليلى) :

ـ ولكن .. ماذا أفعل فى (العريش) الآن .. إن مكانى هو هنا بجوار أختى .

ـ لا مكان لك هنا .. أظن أنك قد اطمأننت الآن على أن أختك بين أيد أمينة .. وأنها ستلقى الرعاية الواجبة فلا مجال لبقائك الآن .. خاصة وأنك لا تعرفين أحدًا فى (القاهرة) .

ـ هل تنوى إعادتى إلى منزل عمى مرة أخرى ؟

قال لها (عادل) بلهجة جادة :

ـ دعينى أتصرف .. ومنذ الآن لا تحاولى أن تجادلينى كثيرًا .

نظرت إليه بامتنان وتقدير شديدين قائلة :

ـ لا أظن أننى أستطيع مجادلتك .. بعد كل ما فعلته من أجل أختى .

ابتسم لها قائلاً :

ـ هيا .. اذهبى لتوديعها .

ذهبت (ليلى) إلى حجرة أختها ، فوجدتها فى سرير صغير بجوار شرفة تطل على الحديقة ، وقد جلست بجوارها ممرضة تلاعبها بأنواع مختلفة من اللعب والدمى .

وكانت الطفلة فرحة حقًا.. وبدت عيناها السوداوان تلمعان ببريق السعادة ..

كانت (ليلى) فى بداية الأمر تخشى ألا تحتمل لوعة الفراق .. لكن بعد أن اطلعت على كل ما فى المصحة من استعدادات ، وبعد أن رأت السعادة المرتسمة على وجه أختها ، زالت لوعتها واطمأن بالها وودعتها وهى منحنية على سريرها الصغير قائلة :

ـ ستكونين سعيدة دائمًا .. وسينمو جسدك الصغير .. وتتورد وجناتك كسائر الأطفال الأصحاء .. وعند ذلك أعود إليك لآخذك .. وسنحارب العالم كله وننتصر عليه .

وقبلتها قائلة وقد عجزت عن أن تقاوم عبرة سقطت على وجنتها هذه المرة :

ـ وداعًا يا (زاهية) .. سنلتقى قريبًا .

وتغلبت عليها العاطفة التى كـانت تغالبهـا ، فوقفت أمام حجرة الصغيرة وقد تدفقت العبرات من عينيها .

فلما رأى (عادل) ذلك رأى أن يسارع بالانصراف ليختصر موقف الوداع المؤلم هذا .

فوضع يده على كتفها قائلاً :

ـ هيّا بنا .

ولما توجها إلى سيارته سألته قائلة :

ـ هل ستقود السيارة بنفسك ؟

ـ كلا .. سيتولى سائقى قيادتها هذه المرة لأننى أشعر ببعض التعب .

سألته باهتمام قائلة :

ـ ماذا بك ؟

ـ لا شىء .. مجرّد إرهاق بسيط بسبب العمل .

ـ يجب أن تخفف من أعباء عملك قليلاً .

ـ لا أستطيع .. لكننى أحاول بقدر الإمكان .

ـ هل تمانع فى أن أجلس بجوار السائق برهة ؟

ـ لا مانع ما دمت تريدين ذلك .

ركبت (ليلى) بجـوار السـائق فى حين ركب كلبها

معه فى الخلف .. وانطلقت بهـم السيارة فى طريقها إلى (العريش) .

غفا (عادل) قليلاً وهو جالس فى السيارة .. ثم ما لبث أن أحس بها تتوقف حيث رأى (ليلى) تنزل منها .

فسألها قائلاً :

ـ ماذا حدث ؟

قالت له :

ـ لا شىء .. وإنما أريد أن أنتقل بجوارك .

وجلست بجانبه وهى تحتضن كلبها .

ابتسم لها قائلاً :

ـ لماذا غيرت رأيك ؟

ـ لقد عرفت أننى سأبكى ولم أشأ أن أضايقك ببكائى ، بعد ما قدمته لى من معروف .. والآن وقد انتهيت من البكاء .. أحسست أننى أريد أن أجلس بجوارك .

اتسعت ابتسامته وهو يتأملها قائلاً لنفسه :

ـ يـا لهـا من فتـاة رقيقـة كالنسمة .. إنهـا ليست مجرّد زهرة برية نمت وسط الجفاف .. بل هى نسـمة رقيقة تحمل لمن يقترب منها شذى الزهور كلها .

وكلما اقتربت من هذه الفتاة أحسست بذلك .

فكل ما فيها يتدفق حبًا .. وعاطفة .. وطيبة .. بنفس القــدر الـذى تحمـله من عزيمـة وإصرار وكبرياء .

سألته وهى تضع يدها على كلبها قائلة :

ـ أين بات (عنتـر) ليـلة أمس ؟ وهـل كـان ينبح لشعوره بالوحدة ؟

ـ لقد بات معى فى حجرتى .

ـ إنه يحبك .. انظر كيف ينظر إليك ؟

ـ إنه كلب مخلص .. شديد الوفاء كصاحبته .

ـ إن حاسته تنبئه بمن يستحقون حبه وإخلاصه .. لذا فهو متعلق بك كما هو مرتبط بى .

ـ ماذا ستفعلين بعد عودتك إلى (العريش) ؟

ـ لا أدرى.. لقد طلبت منى أن أدع أمـرى بين يديك.

ـ وهل أنت واثقة أننى سأحسن التصرف ؟

ـ إننى أثق بك كل الثقة .

ـ هـل تريدين أن تعودى للعيش مع عمـك بعـد أن اطمأننت على أختك ؟

ـ كـلا .. لا أظن أننى سأتحمل الحياة معه ومع زوجته مرة أخرى .. لكن لو طلبت منى ذلك سأفعله .

ـ لا أريد أن تفعلى شيئًا ضد إرادتك .. كما أننى لم أعد مطمئنا إلى وجودك هناك .. خاصة بعد ما رأيت بنفسى الطريقة التى يعاملك بها هذا الرجل .

نظرت إليه فى تردد .. ثم ما لبثت أن قالت :

ـ هل أستطيع أن أقترح شيئًا ؟

ـ بالطبع .

ـ أيمكنك أن تجد لى عملاً مناسبًا ؟

ابتسم (عادل) قائلاً :

ـ وكأنك تقرئين أفكارى.. فهذا ما كنت أفكر فيه .. ما رأيك لو عينتك سكرتيرة لى ؟

قالت له وهى لا تصدق :

ـ سكرتيرة مرة واحدة ؟!

ـ نعم .. وما المانع ؟ أنت فتاة ذكية .. وعلى قـدر لا بـأس بـه من التعليم .. وتجيدين تعلـم أى شـىء سريعًا مهما كانت صعوبته .. كمـا أننـى بحاجـة لفتـاة من (العريش) .. تعرف أهلها .. وتفهم عـاداتهم وتقاليدهم ما دمت أنوى إقامة القرية السياحية هنا .. وسوف يسهل لى هذا أشياء عديدة .

ابتسمت قائلة :

- دعك من كل هذا وقل إنك تبحث عن وسيلة لمساعدتى دون إراقة ماء وجهى .

ابتسم (عادل) بدوره قائلاً :

- دعك أنت من هذه الأفكار .. وتأكدى أننى سأعتمد كثيرًا عليك لو قبلت العمل معى .

- إننى لا أستطيع أن أرفض بالطبع .. ولكنى أظن أن هذه الأمور يتولاها (طارق) .

- إننى أحتاج إلى (طارق) فى أمور أهم وأكبر ، فهو بمثابة وكيل لأعمالى .

واستطرد قائلاً وهو يبتسم لها :

- كما أظن أن عملكما معًا سيوفر لكما تقاربًا أكبر .. وسيكون هذا فى صالح الطرفين .. لكن هل تظنين أن عمك سيوافق ؟

- لا أظن أنه من الممكن أن يوافق على أى شىء يمكن أن يراه فى صالحى .. كما أن موافقته أو عدم موافقته لا تهمنى .

- ومع ذلك .. فإنه لا بد أن نتبع الأصول .. سأطلعه على الأمر وأحاول إقناعه .

- وإذا لم يقتنع ؟

ابتسم (عادل) قائلاً :

- اطمئنى .. أنا أعرف كيف أقنعه بذلك .

وما لبث أن استطرد قائلاً :

- والآن .. وقد انتهينا من مسألة العمل .. أعتقد أنه يتعين علينا أن نفكر الآن فى مسألة الإقامة .. أعنى إقامتك .. ما دمت ترفضين الإقامة مع عمك .. فلا بد من أن أدبر لك مكانًا لائقًا .

- لا تشغل بالك بذلك.. يمكننى أن أدبر أمر نفسى.

- لولا أن الأمر قد يسبب لك شيئًا من الحرج أو الإساءة .. لدعوتك للإقامة معى فى منزلى ريثما يتم تدبير مكان لائق لك .. أو تنتقلين إلى منزل الزوجية مع (طارق) .

لاحظ (عادل) احمرار وجهها لدى قوله ذلك .. فأخفى ابتسامته ، وإن كان قد رأى أن تضرج وجهها بهذا اللون الوردى قد زادها فتنة وجمالاً لم يلحظه من قبل .

ظل صامتًا لبرهة وهو يتأمل وجهها بإعجاب .. ثم ما لبث أن تنبه لنفسه فعاد يواصل حديثه قائلاً :

- على أية حال لا تقلقى .. سأجد حلاً لهذا الأمر أيضًا .

قالت (ليلى) وقد خفضت بصرها وأطرقت برأسها إلى أرضية السيارة :

ـ لقد شغلتك كثيرًا بأمرى .. حتى إننى أصبحت أشعر بأننى فى غاية الخجل منك ..

وضع يده أسفل ذقنها ليرفع وجهها إليه وهو يتأمله بعينين أحست أنهما كادتا أن تحتوياها قائلاً :

ـ لا أريد أن أسمع منك ذلك مرة أخرى .. فقد أصبحت تعنين لدى الكثير يا (ليلى) .. وقد أحسست منذ الوهلة الأولى التى رأيتك فيها أننى سأكون مسئولاً عنك بطريقة أو بأخرى .

* * *



١٢ ـ الصدمة ..

كان هذا هو اللقاء الثالث بين (نجوى) و(طارق) .. حيث تعددت لقاءاتهما .. وبدأ كل منهما يشعر بميل قوى تجاه الآخر .

وكانا قد قضيا يومًا كاملاً معًا فى (الإسماعيلية) ، وعندما عادا أوقف (طارق) سيارته بجوار الشاطئ .. وهو يحاصرها بنظرات تنم عن افتتانه بها .

قالت له وهى تنظر إليه بطرف عينيها :

ـ لماذا أوقفت السيارة ؟ ولماذا تحدق فىَّ هكذا ؟

ـ لأننى لا أريد أن أحرم نفسى من هذا الجمال .

ـ (طارق) .. لا تحاول أن تؤثر على مشاعرى أكثر من ذلك .. فالأمور تتطور بيننا يومًا بعد يوم بشكل أشعر معه بأننى لم أعد وفية بالقدر الكافى تجاه (عادل) .. وأنا لا أريد أن أكون إنسانة غير مخلصة .

ـ ولا أنا أيضًا .. لكن مشاعرنا ليست ملكنا .. والقدر هو الذى اختار أن نلتقى فى هذه الظروف .. ليجد كل منا نفسه مندفعًا وراء هذه المشاعر التى يعجز عن مقاومتها .

- وماذا عن (ليلى) ؟
- لا أظن أنه أصبح لها نفس المكانة فى نفسى بعد أن رأيتك .
- هل تخاطب كل فتاة تعجبك بمثل هذا الكلام ؟
- ليتك تثقين بى .
أطرقت رأسها قائلة :
- ربما .. إننى لم أعد أثق بنفسى .. فلم أكن أتصور أن الأمور ستتطور بنا إلى هذا الحد .. وأننى بين يوم وليلة سأجد نفسى مندفعة وراء .. عاطفتى نحوك .
- لا تحاولى مقاومة عاطفتك .. فلو فعلنا ذلك سنتعذب كثيرًا .. إننى مستعد للزواج منك لو وافقت على ذلك .
قالت له سريعًا وكأنها قد تنبهت من لحظة شرود :
- كلا .. لا يمكننى أن أتخلى عن زواجى من (عادل) .
قال لها دون أن يبدو عليه أنه قد تأثر من قولها :
- إذن لن أجبرك على الزواج منى .. لكنى لن أستطيع أت أتراجع عن حبى لك .
تنهّدت قائلة :

- وأنا أيضًا .. لا أظن أننى أستطيع ذلك .. والآن هيا لتوصلنى إلى المنزل.. فقد تأخر بنا الوقت كثيرًا .
قال (طارق) وهو يستعد لإدارة محرّك السيارة :
- كم أتمنى لو توقف بنا الزمن فى لحظة كهذه !

* * *

ظلت (ليلى) تترقب عودة (عادل) فى قلق فى أثناء انتظارها له فى منزله ، فقد ذهب لمقابلة عمها وأسرته لكى يحسم الأمور معهم بشأنها وبشأن الطفلة .
وكانت تشعر باضطراب من أجل هذا اللقاء .. فهى تعرف فظاظة عمها وأسلوبه الفج فى التعامل مع الآخرين.. كما تعرف عناده وقسوته فى التعامل معها.
لذا كانت تأمل ألا يترتب على هذا اللقاء أى إساءة لـ (عادل) أو إعاقة للحياة الجديدة لها ولأختها كما رسمتها بعد اتفاقها مع هذا الأخير .
وأخذت تتطلع من آن لآخر إلى الطريق من شرفة المنزل ، وهى تنظر إلى الساعة المعلقة على الجدار فى انتظار وصوله .. وقد أحست بأنه تأخر أكثر مما يجب .
وما لبثت أن لاحت سيارته من بعيد فتنفست الصعداء .. حيث توقفت بجوار المنزل .. وغادرها متجهًا إلى الداخل .

استقبلته بلهفة قائلة :

- لقد تأخرت كثيرًا .. وأحسست بقلق شديد عليك .

قال لها وقد بدا وجهه متجهمًا بعض الشيء :

- اطمئنى .. لا يوجد الآن ما يدعو للقلق .

نظرت إليه قائلة :

- لكن وجهك لا ينبئ عن ذلك .

جلس فوق أحد المقاعد وهو يشير لها ليدعوها إلى الجلوس :

- قلت لك اطمئنى .. لقد سويت الأمر مع عمك .. ولن يعترض طريقك بعد الآن .

- كيف ؟ لا أظن أنه وافق على ذلك بسهولة .

- بل وافق .. فقد قلت لك من قبل إننى أعرف كيف أتعامل مع هذا الرجل .. وقد لمست نقطة ضعفه واستخدمتها للتأثير عليه .. ونقطة الضعف بالنسبة له هى المال .

لذا فقد ربط بين ابتعاده عنك وعن أختك ، وبين التعويض الذى وعدته بتقديمه له مقابل تركه للمزرعة والمنزل .

- إذن فقد وافق على هذه المقايضة .

- بأسرع مما تتصورين .. برغم ما أبداه أولاً من ثورة وانفعال وحديث إنشائى عن السمعة والكرامة والإهانة .. لكن كل ذلك ذاب سريعًا عندما لوحت بمبلغ التعويض .. وأبدى استعداده كاملاً للتخلى عن المزرعة والمنزل وعنك وعن ابنته ، فى مقابل الشيك الذى قدمته له .

- وبالطبع رحبت زوجته بذلك .

- لقد كانت أكثر سعادة منه .

قالت (ليلى) بضيق :

- إنه ابتزاز رخيص .. فهذا المنزل من حقك دون تعويض .

- لقد دفعت له ضعف المبلغ الذى طلبه .. وفى الواقع فإننى لم أدفع هذا المبلغ مقابل المنزل ولا المزرعة بل لكى أبعد شروره عنك وعن أختك .

قالت (ليلى) وقد أحست بالحزن والخجل لما تكبده فى سبيلها :

- لكن .. هذا كثير .. ما ذنبك أنت لكى ..... ؟

- أسكتها قائلاً :

- لا شىء يكثر عليك يا (ليلى).. ولو كان قد طلب أكثر من ذلك لقدمته له .. لكى أضمن لك ولأختك

حياة آمنة مستقرة بعيدًا عن كل الهوان والعذاب الذى لقيته من قبل .. هناك شىء آخر يجب أن تعرفيه .. إننى لن أهدم هذا المنزل وأعيد إنشاءه وفقًا للتخطيط المعد من قبل لإقامة القرية السياحية .. فأنا أعلم أن له ذكريات غالية عندك .. خاصة أنه مرتبط بذكرى والدتك التى أسهمت فى تأسيسه .

سوف أدخل عليه فقط بعض التعديلات فى المستقبل .

إن عمك وأسرته سيرحلون عن هذا المنزل غدًا فى الظهيرة .

وبعد رحيلهم سيكون هذا المنزل ملكًا خالصًا لك .. يمكنك الإقامة فيه أو تتصرفين به كما تشائين .. وسيكون معك خادمة لتشاركك فى أعباء المنزل وحارس ليتولى حمايتك .

نظرت إليه (ليلى) بعينين دامعتين قائلة :

- لكننى لا أستحق كل هذا .

أمسك بيديها بين أصابعه وهو يحدق فى وجهها قائلاً :

- بل تستحقين ما هو أكثر من ذلك .

وما لبث أن ترك يديها وأدار ظهره لها وهو ينظر من الشرفة ، وقد بدا مهمومًا .. فلحقت به قائلة :

- لماذا أرى الحيرة .. والقلق فى عينيك ؟

- لا شىء .. هل تناولت عشاءك ؟

- لم أكن لأتناوله قبل حضورك بالطبع .. لكن لا تحاول أن تغير الموضوع .. فإذا كنت قد سمحت لك أن تعنى بى وبأمرى .. فاسمح لى أنا أيضًا أن أعنى بك .

أطلق (عادل) زفرة قصيرة :

- إننى لم أعد أشعر بارتياح لمصاهرة تلك الأسرة .. خاصة بعد ما رأيته من (نجوى) وأمها .

- لكنك تحب (نجوى) .

- يبدو أننى كنت مخدوعًا فى عاطفتى تلك .

- كيف ؟

- لقد اعترضت على اصطحابى لك إلى (القاهرة) وعملك لدى بطريقة فجة ومنفرة أساءت إلى مظهرها أمامى .

صمتت (ليلى) برهة .. ثم قالت :

- لا أظن أنك عادل فى حكمك عليها .. فمن حق أى فتاة مثلها أن تعترض وتغضب لهذا الاهتمام الزائد عن الحد من جانب الشخص الذى تحبه وتنوى الاقتران به تجاه فتاة أخرى مثلى .

نظر إليها قائلاً :

- أتظنين ذلك ؟

- بالطبع من حقها أن تغار .. وربما لو كنت مكانها لفعلت ذلك .

- ليس هذا هو ما ضايقنى .. لكن الأسلوب الذى استخدمته فى التعبير عن غيرتها .. لقد كان أسلوبًا غير مألوف لدى .

تنهدت (ليلى) قائلة :

- كنت أعرف أننى سأتسبب لك فى المشاكل .. أرجوك إننى لن أغفر لنفسى أبدًا أن أكون السبب فى الوقيعة بينك وبين خطيبتك .

نظر إليها (عادل) قائلاً :

- دعك من هذا الهراء ! فالأمر لا يتعلق بك .. وإذا لم يكن لأحد الطرفين ثقة كاملة فى الطرف الآخر فمن الأفضل ألا يكون بينهما ارتباط .

ثم أردف قائلاً بعد لحظة من الصمت والتردد :

- كما أننى شعرت أن هذه الغيرة مفتعلة وغير حقيقية .

- كيف ؟

- لا أدرى .. ولكنه مجرد إحساس .

ونظر إليها وكأنه يحاول أن يقول لها شيئًا .. لكن بدا عليه التردد و .....

فقالت له :

- هل هناك شىء تخفيه عنى ؟

قال لها وقد ارتسمت علامات الضيق على وجهه :

- (ليلى) .. إننى .. إننى ..

أطرقت (ليلى) قائلة :

- يبدو أننى لم أحز ثقتك بالقدر الكافى لكى تصارحنى بما يعتمل بداخلك .

أمسك بذراعيها قائلاً :

- (ليلى) .. لا تقولى إننى لا أثق بك .. هناك أشياء كثيرة يحتاج الإنسان إلى أن يراجعها مع نفسه .. خاصة عندما تكون تلك الأشياء مشوشة أمامه ويكون عاجزًا عن الحكم عليها حكمًا صحيحًا .

نظرت إليه (ليلى) وقد أحست بالقلق لرؤيتها له على هذه الصورة .. فقالت له :

- حسن .. لن ألح عليك .. ولو أنى لا أفهم شيئًا مما قلته .. لكنى أتمنى بعد أن تنتهى من مراجعتك

لهذه الأشياء التى تتحدث عنها أن أراك فى حالة طيبة .. وأن تصل إلى ما فيه صالحك .

فأنا لا أستطيع أن أمنع نفسى من الاهتمام بك بعد كل ما فعلته من أجلى .

قال لها مطمئنًا وقد لاحظ انشغالها عليه :

ـ اطمئنى يا (ليلى) .. سيكون كل شىء على ما يُرام .

* * *

قضت (ليلى) ليلة مؤرقة وقد أزعجها ما رأت (عادل) عليه .. وأرجعت ذلك إلى خلافه مع (نجوى) بسببها .

أحست بالذنب لأنها كانت السبب فى هذا الخلاف .

وبرغم أنها كانت تعرف (نجوى) جيدًا .. وأنها تحمل نفس سمات أمها من جشع وطمع واستغلال .. كما كانت واثقة أن فتاة مثلها لا تستحق شخصًا مثل (عادل) .

إلا أنها كانت تعرف أنه يحبها .. وأيًا كان الأمر فهى الإنسانة التى اختارها لتكون زوجة له .. وهى لا تريد أن تكون سببًا لوجود متاعب بينهما .. كما لا تحتمل أن تراه على هذه الحالة التى رأته عليها .

لذا قررت أن تغادر المنزل فى ساعة مبكرة من صباح الغد قبل أن يغادر عمها وأسرته المزرعة لتتحدث إليها وتحاول أن تهدئ من حدة هذا الخلاف الذى حدث بينهما ، حتى لو أدى الأمر أن تتراجع عن كل ما اتفقت عليه معه .

واستراحت (ليلى) بعد أن توصلت إلى هذا الرأى .. وسعت إلى تنفيذه بالفعل فى اليوم التالى .

فاستيقظت فى ساعة مبكرة من الصباح وأسرعت بالذهاب إلى مزرعة عمها للقاء (نجوى) .

كانت هناك سيارة نقل كبيرة أمام المزرعة .. ومن الواضح أنها جاءت لنقل الأثاث إلى حيث يرحل عمها وأسرته .

واتخذت (ليلى) طريقها إلى المنزل للقاء (نجوى) .

لكن قبل أن تصل إليه سمعت صوتًا يأتى من خلف حظيرة الماشية استلفت انتباهها .

واقتربت من مصدر الصوت لتسمع (نجوى) وهى تتحدث إلى شخص ما قائلة :

ـ هل أنت مجنون؟ ما الذى أتى بك إلى هنا الآن ؟

وسمعت صوت شخص مميز لها وهو يجيبها قائلاً :

ـ وهل كنت تريدين أن ترحلى دون أن أراك ؟

ـ وماذا لو رآك زوج أمى أو (عادل) أو أى شخص آخر الآن ؟

وسمعت صوت رفيقها الذى تبينت فيه شخص (طارق) يقول لها :

ـ لا يهمنى أن يرانى أحد .. قدر اهتمامى بأن أعرف مصيرى الآن معك بعد هذا الرحيل المفاجئ .

ـ لقد اتفقنا على أن أحدنا لا يستطيع أن يستغنى عن الآخر .

ـ هراء .. إننى أعرف أنك تستطيعين أن تتخلى عنى بسهولة .

تلفتت حولها وهى تحاول تهدئته قائلة :

ـ كيف تقول ذلك يا (طارق) ؟ أنت تعرف أننى أحبك .

ـ إذن .. لماذا لا نتزوج ما دمت تحبيننى كما تقولين ؟

ـ ألم نحسم هذا الأمر بيننا من قبل ؟ أنت تعرف أن زواجى من (عادل) أمر حتمى ولا يمكن التراجع

عنه .. فهو مهم لى ولمستقبلى .. ولتحقيق أشياء كثيرة أحرص على وجودها فى حياتى .

ـ لكنى أحبك .. وأشعر بأنك تختلفين عن كل من عرفتهن من قبل .. وأننى لا أستطيع تحمل فكرة ابتعادك عنى .

ـ دعك من هذا الهراء .. ألم تفكر فيما يمكن أن يكون عليه موقفك إزاء (عادل) لو عرف بحقيقة صلتنا ؟

ـ لقد فكّرت فى ذلك .. إننى أحب (عادل) .. لكنى أحبك أنت أكثر .. ولا أستطيع أن أمنع نفسى من الغيرة منه لأنك يمكن أن تكونى له وحده .. يمكننا أن نسافر إلى الخارج ونتزوج هناك بعيدًا عن الجميع .

ـ (طارق).. إننى لم أرك هكذا من قبل.. كيف تفكر بهذه الطريقة ؟ ماذا يمكننا أن نفعل فى الخارج؟ نبيع الجرائد؟ أم نغسل الأطباق فى (أوروبا)؟ يجب أن نفكر بطريقة واقعية .. وبأسلوب لا نندم عليه فيما بعد .. فأنت محتاج لوظيفتك المهمة وراتبك الكبير الذى تحصل عليه من (عادل) .. وأنا بحاجة لزوج مثله.

ـ وأنا ما قيمتى بالنسبة لك ؟

ـ أنت الرجل الذى أحبه قلبى .. إننا لن نبتعد عن بعض كثيرًا كما تتصور .. فيمكننا أن نلتقى فى (القاهرة) كلما حضرت إلى هناك .. و (القاهرة) مزدحمة لن يلحظنا فيها أحد كما هو الحال فى مدينة صغيرة كهذه .. وحتى بعد زواجى من (عادل) وحضورى إلى (العريش) .. سنكون قريبين من بعضنا بحكم عملك معه .. اطمئن لن يتغير شىء .. المهم ألا نتصرف بحماقة .. وأن نكون أكثر حرصًا فى الفترة القادمة .. فقد لاحظت أن (عادل) قد بدا عليه شىء من الضيق عندما رآك توصلنى بسيارتك.. وعندما علم بأننا التقينا فى منزله برغم أنه حاول التظاهر بعكس ذلك .

كما أن انفعالى معه بسبب اصطحابه لتلك الفتاة ، جعلنى أتحكم فى الموقف وأغيره لصالحى .

ـ سأحاول أن أنتهز الفرصة لمقابلتك فى (القاهرة) .

ـ حسن .. ولكن انصرف الآن قبل أن يراك أحد .

ـ إلى اللقاء يا حبيبى .

وظهرت (ليلى) من وراء الحظيرة لتراها فى أحضانه وهو يهم بتقبيلها .

وما إن رأتها (نجوى) حتى أطلقت شهقة قوية ، وهى تخلص نفسها من ذراعيه وقد تراجعت إلى الوراء محدقة فيها بذعر .

والتفت (طارق) ورآها ليظهر وقع المفاجأة على وجهه بدوره وهو يقول :

ـ (ليلى) ؟!

حاول أن يتحدث إليها .. لكنها دارت على عقبيها وأسرعت بالانصراف .. وظل (طارق) و(نجوى) واقفين مكانهما ينظر كل منهما للآخر فى صمت رهيب .

كانت (نجوى) تفكر فى الكارثة التى يمكن أن تلحق بها لو أخبرت الفتاة (عادل) بالأمر .

أما (طارق) فكان يشعر بالخجل المزدوج لعدم إخلاصه لـ (ليلى) التى يعرف أنها تحبه ولصداقته لـ (عادل) الذى لم يضن عليه يومًا ما بمساعدة أو مساندة .

وبعد برهة غير قصيرة اندفعت (نجوى) نحوه تقول وهى مضطربة :

ـ أسرع وراءها .. وقل لها شيئًا .. حاول أن تمنعها من إطلاع (عادل) على ما حدث .

اندفع (طارق) مسرعًا وراء الفتاة .. لكنه لم يجدها .. فقد أسرعت إلى مجموعة من أشجار النخيل وأسندت رأسها إلى إحداها وهى فى حالة من الذهول .

كانت الصدمة عنيفة عليها .. أحست بها كالخنجر ينفذ فى قلبها ويمزقه .. ومع ذلك فإنها لم تكن متألمة من أجل نفسها بقدر ألمها من أجل (عادل) .. فهو لا يستحق هذه الخيانة أبدًا .

وما لبثت أن وجدت نفسها تنخرط فى بكاء عنيف .

ماذا تفعل الآن بعد ما رأته ؟ لقد انتزع حب (طارق) من قلبها فى لحظة واحدة .. ولم تعد مكترثة لما أصابها من ألم .. ولكن ماذا تفعل بالنسبة لـ (عادل) ؟

هل تخبره بما رأته ؛ لكن ذلك سيكون بمثابة صدمة قوية له .. وهى لا تستطيع أن تتسبب له فى أى ألم .

لقد بدا متألمًا لمجرد شكوك أصابته .. فماذا لو عرف أن الإنسانة الوحيدة التى أحبها وأراد الاقتران بها لم تكن مخلصة له .. وأن الشكوك التى راودته كانت حقيقية .

ولكن هل تتركه مخدوعًا فى هذه الفتاة ؟ وهل ترضى له أن يقترن بفتاة غير مخلصة ؟ فتاة خائنة .. خانت مشاعره وثقته بها .

ماذا تفعل ؟ إنها حائرة .. ولا تعرف ما الذى تفعله الآن ؟

وظلت فى مكانها ساعات طويلة تفكر وقد أعياها الأمر .. دون أن تصل إلى قرار .

لقد ألهاها تفكيرها فى (عادل) وحرصها عليه عن التفكير فى خيانة (طارق) لها .. وفى خيبة أملها هى الأخرى فى الشخص الذى أحبته .. أو الذى كانت تظن أنها أحبته .. لكنه لم يكن يستحق ذرة واحدة من هذا الحب .

انطلق (طارق) بسيارته محاولاً اللحاق بـ (ليلى) قبل أن تصل إلى منزل (عادل) وقد بدا فى حالة من الاضطراب الشديد .. والاحتقار لنفسه .

لقد أغواه الشيطان فترك نفسه يندفع وراء هذه العاطفة الأثيمة .. دون أن يعبأ بأية مبادئ أو قيم .. ودون أن يفكَر فى تلك الفتاة البريئة التى أحبته وأقنعها بحبه لها .. أو فى ذلك الصديق الذى وقف بجواره دائمًا وقدم له كل ما احتاج إليه من مساعدة .

كيف ترك نفسه لينجرف إلى هذا الحد وراء حبه لتلك الفتاة التى اختارها (عادل) لتكون زوجة له ؟

وكيف يمكنه أن ينظر إلى وجهه بعد الآن .. لو علم بذلك الأمر ؟

وبينما هو فى هذه الحالة من الاضطراب والانفعال .. وجد عجلة القيادة تفلت من يده .. وانحرفت السيارة بقوة لتصطدم بإحدى السيارات المقبلة من الاتجاه الآخر فتنقلب على ظهرها .

* * *



١٣ - ظلال السعادة ..

ظلت (ليلى) تهيم على وجهها وهى ما زالت فى حيرتها وقد أضناها التفكير والقلق .. وما لبثت أن استقلت السيارة المتجهة إلى (القاهرة) .. وقد قرَرت أن تذهب لتأخذ أختها من المصحة وتبتعد بها بعيدًا .. إنها تريد أن تهرب إلى مكان بعيد حقًا ..

بعيدًا .. عن الغدر .. والخيانة .. وعن كل ما يذكرها بما رأته .

لكنها ما إن وصلت إلى المستشفى .. وألقت نظرة على أختها حتى تراجعت عن قرارها بالهرب .. وقررت أن الأمانة تقتضى أن تصارحه بكل شىء .. نعم .. عليه ألا يبقى مخدوعًا بالفتاة التى أحبها وينوى الزواج منها .. ليس من حقها وحدها أن تعرف بخيانة الرجل الذى أحبته .. بل من حقه أيضًا أن يعرف بالحقيقة حتى لا يبقى مخدوعًا .

وأسرعت بمغادرة المستشفى بعد أن تخلصت من اضطرابها وبلبلة أفكارها ، لتستقل السيارة العائدة إلى (العريش) .

وعندما وصلت إلى (العريش) كانت قد أصبحت فى حالة يرثى لها من الإنهاك والتعب والمعاناة النفسية التى عاشتها طوال اليوم .

كانت فى طريقها إلى منزله .. عندما رآته مقبلاً عليها وهو يسير على قدميه .

حدق كل منهما فى الآخر لبرهة .. قبل أن يسألها قائلاً :

ـ أين كنت ؛ ولماذا غادرت المنزل فى هذه الساعة المبكرة دون أن تخبرى أحدًا ؟

نظرت إليه (ليلى) وعيناها تكشفان عن حزنها لأجله قائلة :

ـ لقد ذهبت لإلقاء نظرة على المزرعة وتوديع عمى قبل رحيله .

ـ حقًا .. وهل ودعت عمك ؟

ـ كلا .

ـ لماذا ؟

ـ لم تتح لى الفرصة لذلك .

ـ وما الذى رأيته هناك ؟

نظرت إليه (ليلى) بدهشة ، فى حين استطرد قائلاً بعد برهة من الصمت مرت بينهما :

ـ هيا يا (ليلى) .. لماذا لا تقولين الحقيقة ؟ إن الأمانة تقتضى منك ذلك ؟

قالت له مضطربة :

ـ هل عرفت شيئًا ؟

أطلق زفرة قصيرة قائلاً :

ـ عرفت كل شىء .

ـ كيف ؟

ـ لقد تعرض (طارق) لحادثة سيارة ، وهو يسعى فى إثرك محاولاً منعك من أخبارى بالأمر .. واتصلوا بى هاتفيًا بعد نقله إلى المستشفى حيث ذهبت إليه على الفور .

وهناك اعترف لى بكل شىء قبل أن يفارق الحياة ، وطلب منى أن أسامحه .. كما أبلغنى أن أطلب منك ذلك .

لماذا لم تحاولى إخبارى بالأمر ؟

ـ خشيت أن يتسبب ذلك فى إيلامك .

ـ لا بد أن ذلك كان مؤلمًا لك أيضًا .

ـ ليس بقدر ألمى من أجلك.. فأنت لا تستحق ذلك.

ـ وأنت أيضًا لا تستحقين ذلك .

ثم أردف قائلاً وهو يسير بجوارها :

- كلانا خدع فى الشخص الذى أحبه .

- بالنسبة لى .. فقد تجاوزت صدمتى سريعًا .. إذ تبين لى من قبل أن الحب الذى جمعنى بـ (طارق) كان وهمًا كبيرًا .

- كيف ؟

- الشخص الذى يتخلى عن الإنسانة التى أحبته وقت احتياجها إليه .. ويسعى إلى الهرب من ارتباطه بها .. ثم يتقلب فى عاطفته نحوها إلى حد الخيانة .. لا يستحق أن نبكى من أجله .

أين هو من ذلك الموقف النبيل الذى وقفته معى عندما لجأت إليك ؟

- إذن .. هل ترين أننى أستحق حبك ؟

توقفت عن السير وهى تنظر إليه قائلة :

- ما .. ماذا تقول :

- نظر إليها بعينين تتدفقان عاطفة :

- أقول .. إننى أحبك .

قالت له متلعثمة :

- أستاذ (عادل) .. إنك .. إن ما تقوله .....

قاطعها قائلاً :

- (عادل) فقط .. إن خيانة (نجوى) قد حسمت حيرتى وبلبلة أفكارى بشأنك .. فقد كان لدى إحساس قوى بأنك الإنسانة التى يتعين على أن أقترن بها .

- إنك تقول ذلك لأنك مازلت تحت وقع الصدمة .

- إننى أقول ذلك .. لأنها الحقيقة التى يتعين علىَّ ألا أهرب منها بعد الآن .

- لكنك تحب (نجوى) .

- لقد توهمت ذلك .. إن مشرط الجراح ضرورى ومهم لاستئصال الداء الخبيث قبل أن يستشرى فى الجسد .. ويستفحل خطره .

ومشرط الجراح قد يكون مؤلمًا .. لكن الداء الخبيث يكون أكثر إيلامًا إذا ما تمكن من جسد المريض .

لذا فإن ما حدث برغم أنه كان مؤلمًا .. إلا أنه جاء فى الوقت المناسب ليخلصنى من هذا الحب الوهمى .. فأعرف طريقى الصحيح .. وأرى الأمور على حقيقتها .

صمتت (ليلى) دون أن تقول شيئًا وقد أطرقت برأسها إلى الأرض .

فوضع (عادل) إصبعه تحت ذقنها ليرفع وجهها إليه قائلا :

- ماذا قلت يا (ليلى) ؟

قالت له بصوت خافت يغلب عليه التأثر :

- لا أدرى .. ماذا أقول لك ؟

- ترى .. ألا يمكن أن تحبينى كما أحببتك ؟

نظرت إليه بعينين تتدفقان عاطفة قائلة :

- وكيف يمكن لى ألا أحب رجلاً مثلك ؟

- إذن هل تقبلين الزواج منى ؟

أطرقت برأسها إلى الأرض مرة أخرى ، وقد رانت بينهما برهة من الصمت ، عادت بعدها لترفع إليه وجهها وقد اغرورقت عيناها بالعبرات قائلة :

- هذا أكثر مما حلمت به أو تمنيته .

ووضع يده على كتفها وقد سارا معًا فى طريقهما إلى منزله .. بعد أن ألقيا بالآلام وراء ظهريهما .. وهما يستعدان لاستقبال الآمال التى فتحت لهما ذراعيها .

* * *

مرت ثمانية أشهر منذ زواجهما .. وقد أحضرت

(ليلى) أختها لتعيش معهما بعد أن استردت صحتها ، وعكف الاثنان على رعايتها .

وذات يوم سألها (عادل) قائلاً :

- لماذا لا أراك مهتمة بذلك المنزل الذى كنت تقيمين فيه من قبل برغم أننى أهديته لك ؟

- إن هذا المنزل يحمل لى ذكريات سيئة أفضل ألا أتذكرها .

ففى هذا المنزل فقدت أمى وذقت طعم الألم والحرمان .. وعرفت فيه معانى القسوة والمهانة .. كما رأيت فيه الغدر والخيانة .

لذا أفضل أن تهدمه كما خططت من قبل حتى لا يذكرنى بكل تلك الأشياء .

- قبل أن أهدمه .. أريد أن تأتى إليه معى للمرة الأخيرة .

- لماذا ؟

- ستعرفين عندما تأتين .

- ولكن .....

- أرجوك يا (ليلى) .. أريد أن تأتى معى إلى هناك .

عندما ذهبت (ليلى) معه إلى المنزل .. أحست ببعض الاضطراب .

وما لبث أن قادها إلى إحدى الحجرات لترى رجلاً مريضًا ، وقد افترش الأرض فى ركن من الحجرة وقد بدت عليه علامات الألم والمرض حتى إنها تبينت بصعوبة أن هذا الشخص هو عمها .

جثت على ركبتيها بجواره قائلة :

ـ عمى !

نظر إليها الرجل بعينين زائغتين .. وقد نطق اسمها بصوت واهن قائلاً :

ـ (ليلى) !

ورفع يده بصعوبة ليضعها على كتفها قائلاً :

ـ سامحينى يا بنيتى .. لقد أخطأت كثيرًا فى حقك ، وفى حق ابنتى .. وها هو ذا ! اللّه (سبحانه وتعالى) قد انتقم منى جزاء ما فعلته بكما .

همس لها (عادل) قائلاً بعد أن راح الرجل فى غيبوبة :

ـ لقد جئت إلى المنزل هذا الصباح لأتفقده فوجدته هنا .

وقد علمت أن زوجته قد خدعته بعد أن أوهمته أنها ستدخله فى مشروع تجارى مربح ، ثم استولت على مبلغ التعويض وهربت إلى الخارج هى وابنتها بعد أن سقط مريضًا .. لا يملك حتى ثمن الدواء .

وقد بذل جهدًا مضنيًا حتى تمكن من الحضور إلى هنا .

عاد الرجل ليتنبه من غيبوبته قائلاً لـ (ليلى) :

ـ لقد جئت لأموت هنا .. فى هذا المكان الذى عشت فيه .

بكت (ليلى) وهى تحتضنه قائلة :

ـ لن تموت يا عمى .. ستعيش من أجلى ومن أجل ابنتك .

ابتسم الرجل بصعوبة قائلاً :

ـ ابنتى ؟ ترى كيف أصبحت الآن ؟

ـ إنها بخير .. لقد استردت صحتها .. وأصبحت فى حالة طيبة .

قال لها عمها بصوت واهن :

ـ عندما تكبر اطلبى منها أن تسامحنى .. لا بد أنها ستكون متسامحة مثلك لأنك تتولين تربيتها بنفسك .

هتفت (ليلى) :

ـ لا بد من نقله إلى المستشفى .. فحالته سيئة للغاية .

ـ لقد اتصلت بالإسعاف قبل أن آتى بك إلى هنا .. وعربة الإسعاف فى طريقها إلى هنا الآن لنقله إلى المستشفى .

قال الرجل بصوت واهن :

ـ لا داعى لذلك .. إن آلام الأرض محتملة مهما كانت قسوتها .. لكن ما أخشاه حقيقة هو عقاب السماء .

* * *

استردَّ (همام) صحته بعد نقله إلى المستشفى وعلاجه .. حيث اصطحبته (ليلى) إلى منزلها .

وقد تغير الرجل تمامًا بعد شفائه ، وعكف على الصلاة والعبادة ومشاركة (ليلى) فى تقديم الرعاية والحنان إلى ابنته الصغيرة .

وخيم جو من السعادة على المنزل الذى ضم (عادل) و (ليلى) والعم والطفلة الصغيرة .

وذات يوم وقف (عادل) يداعب الطفلة الصغيرة قائلاً :

ـ إن جسمها يزداد نموًا يومًا بعد الآخر .

ابتسمت (ليلى) قائلة له :

ـ إننى سعيدة لأنك أحببت (زاهية) كما لو كانت ابنتك .

ـ هذا هو شعورى نحوها .

ـ لكن بعد شهور قليلة .. ستأتى لك ابنة حقيقية لتشاركها حبك .

نظر إليها (عادل) غير مصدق وهو يقول :

ـ هل هذا حقيقى ؟ هل أنت ..... ؟

ابتسمت (ليلى) قائلة :

ـ نعم .

احتضنها قائلاً :

ـ إن هذا هو أسعد خبر سمعته فى حياتى .

قالت له (ليلى) :

ـ ترفق بالطفلة !

اقترب عمها ليقبلها قائلاً :

ـ مبروك يا (ليلى) .

ثم تناول طفلته من بين يدى (عادل) ليحتويها بين ذراعيه وهى تبتسم له قائلاً لها :

- إن هـذا سيتيح لـى وقتًـا أطـول للانفراد بطفلتـى الصغيرة دون تدخل منكما .

لفت (ليلى) ذراعها حول كتف عمها وهى تلقى برأسها على كتفه وقد أخذت تداعب الطفلة .

بينما وقف (عادل) ينظر إليهما فى سعادة .. وقد أخذ (عنتر) يدور حولهما وهو يهز ذيله معبرًا عن سعادته هو الآخر .

★ ★ ★

[تمت بحمد اللّه]



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

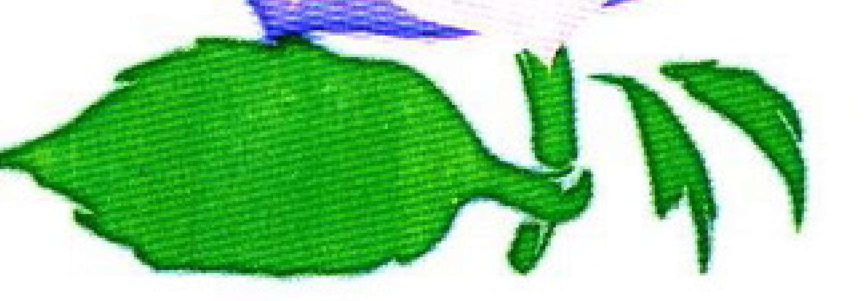
السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

ا. شريف شوقى

83

زهرتى الجميلة

كانت (ليلى) زهرة برية نبتت بين الأشواك .. فقد عاشت ظروفًا قاسية منذ نعومة أظفارها .. وحبًا أدمى مشاعرها .. لكنها لم تفقد صلابتها ونقاء روحها .. فبقيت تتحدى كل ما أحاط بها من أشــــواك .



الثمن فى مصر ٢٠٠ ص
ومما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

